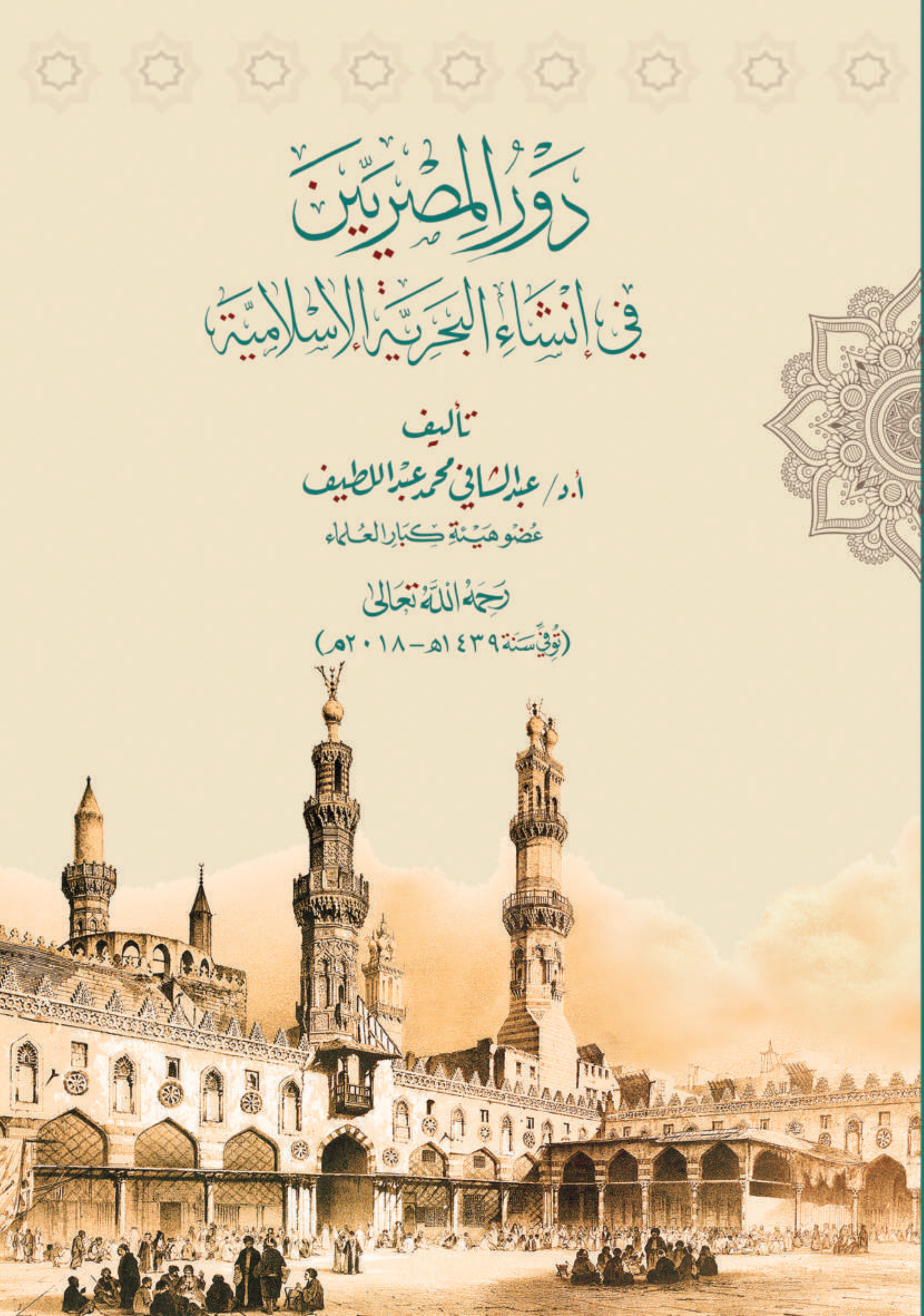
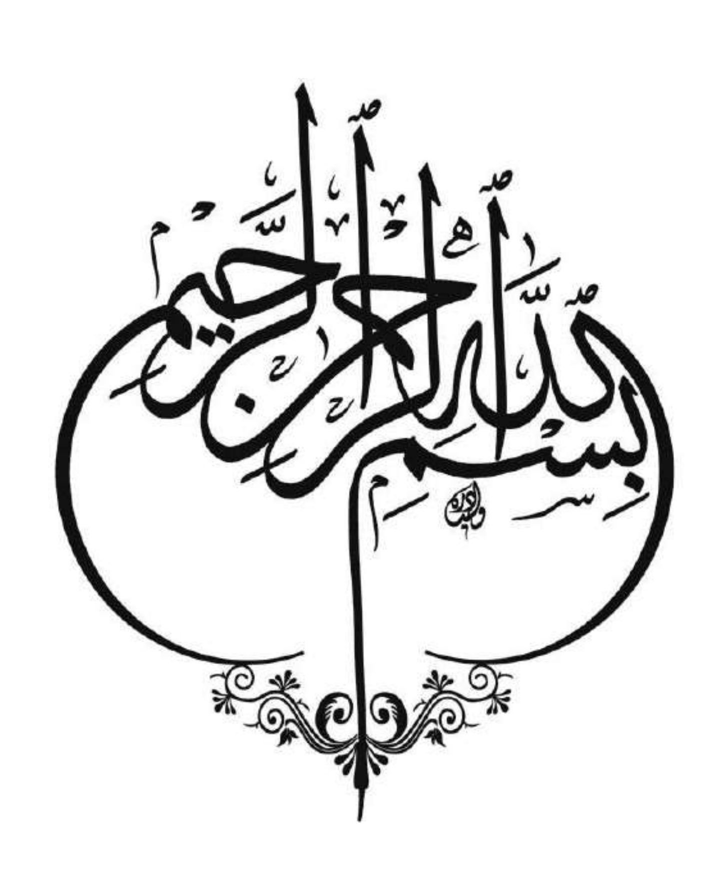

دور المصريين
في إنشاء البحرية الإسلامية
تأليف
أ.د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف
عضو هيئة كبار العلماء
رحمه الله تعالى
(توفي سنة ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م)

دور المصريين في إنشاء
البحرية الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم



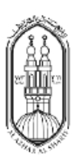
الأزهر الشريف
هيئة كبار العلماء

دور المصريين في إنشاء البحرية الإسلامية

تأليف

أ.د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف
عضو هيئة كبار العلماء
رحمه الله تعالى
(توفي سنة ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)





الأزهر الشريف
هيئة كبار العلماء

تليفون: ٠٢٢٥٩٣٩٠٤٦

فاكس: ٠٢٢٥٩٣٩٠٤٦

البريد الإلكتروني:

Seniorscouncil@alazhar.eg

الموقع الإلكترونى:

www.azhar.eg/scholars

العنوان: ش الأزهر – أمام مسجد الحسين – القاهرة

*****

فهرست الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية:

دور المصريين في إنشاء البحرية الإسلامية

أ.د عبد الشافى عبد اللطيف

ص: ١٤ × ٢٠ سم

عدد الصفحات: ١٣٨

الطبعة الأولى

لهيئة كبار العلماء

١٤٤٢هـ -٢٠٢١م

متعهد الطبع:

مجمع مطابع الأزهر الشريف

تليفون: ٢٦٨٤٠٥٥٧

فاكس: ٢٦٨٤٠٥٥٧

****

مراجعة علمية:

د/عبد الحميد شلبي

د / صلاح الشورى

مراجعة لغوية:

أ / عمرو حافظ

الإعداد الطباعي:

أمين أحمد زكريا

إيهاب مجدي عامر

تصميم الغلاف:

محمد سيد عبد الفتاح

رقم الإيداع: ٢٠٢١/١٩٨٨

الترقيم الدولي: ٤ - ٤٢٤ - ٢٠٥ - ٩٧٧ - ٩٧٨

افتتاحية

الحمد لله رب العالمين، الهادي إلى سواء السَّبيل، والصَّلاة والسَّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيِّدنا محمَّد صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التَّابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين... وبعد:

فإنَّ من فضل الله تعالى على هذه الأمَّة أن جعلها أمَّة وسطًا، تمدُّ يد الإعمار القلبيِّ والعقليِّ، والحضاريِّ والإنسانيِّ للدُّنيا كلِّها، عن عقيدةٍ راسخةٍ أنَّها خير أمَّة أُخرِجت للنَّاس تأمر بالمعروف في كلِّ مجالات الحياة، وتنهى عن المنكر في كلِّ مجالاتها كذلك.

وقد قيَّض الله لهذه الأمَّة من يحمل منهجها، ويسعى به في النَّاس، فكان الأزهر الشَّريف حامل لواء الخير،

ومترجم الوسطيَّة، ومشعل الهداية الباقي على مرَّ القرون والأزمان، ولسان الشَّريعة النَّاطق بالحقِّ والبرهان.

وإسهامات الأزهر الشَّريف المعمور لا تنكر في مجال التَّواصل مع الآخر، وإعلاء قيم المواطنة والإنسانيَّة؛ ليظلَّ هذا العطاء شاهدًا لهذا الصَّرح الشَّامخ بما ترسَّخ لديه عبر القرون من تعمُّق في فهم الإسلام عقيدة وشريعة، واعتماد صحيح الدِّين منهجًا يتربَّى عليه أبناؤه ومريدوه، ويترجم ذلك علماؤه ومنتسبوه.

ويتوالى عطاء الأزهر الشَّريف من خلال هيئة كبار العلماء والَّتي تضطلع بعبْء الرِّيادة العلميَّة وحسم النِّزاع في شتَّى قضايا الأمَّة من خلال رصد الواقع وتوجيهه ومعالجته بما يتَّفق وصحيح الدِّين.

وانطلاقًا من تلك المهمَّة المحمودة عملت الهيئة على إخراج بعض المؤلَّفات العلميَّة للسَّادة علماء الأزهر الأجلَّاء، والَّتي تتناول أهمَّ القضايا العلميَّة وتعالجها معالجة متعمِّقة، تعبِّر عن منهج الأزهر الوسطيِّ.

على أنَّ هذه الإصدارات إنَّما تمثِّل ثمار عملٍ علميٍّ ناضجٍ، وجهدٍ فكريٍّ دقيقٍ، يهيِّئ للقارئ الكريم فرصة طيِّبة لمزيد من المعرفة الصَّحيحة، كما تيسِّر له السُّبل لفهمٍ أعمق، وثقافةٍ أرحب على طريق الوعي الفقهيِّ والشَّرعيِّ المستنير.

نسأل الله العليَّ العظيم أن يوفِّق علماءنا للعمل لما فيه خير ديننا ونصرة إسلامنا، وأن يحفظ الأزهر وشيخه وعلماءه، وأن يجزيَهم عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

الأمانة العامَّة

لهيئة كبار العلماء

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين والمبعوث رحمة للعالمين؛ سيدنا محمَّد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وبعد:

فإن تاريخ الأمم والشعوب لا يُقاس بالأعوام والسنين، ولكن بما خلفوه من آثار، وما قدَّموه للبشرية من علوم وفنون ومنجزات، وفي هذه المرحلة العصيبة التي تمر بها أمتُنا العربية والإسلامية بسبب ما يبثُّه المغرضون في عقول أبناء الأمة بهدف إحباطهم، والحطِّ من عزيمة الشباب الذين هم عماد الأمة ومستقبلها، حري بنا أن نستدعي ماضينا التليد؛ لنستلهم منه العبر، ونحيي به الهمم، وليقف الشباب

على ما قدمه الأجداد من منجزات حضارية وانتصارات أشاد بها الأعداء قبل الموالين.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة الماتعة لفضيلة الأستاذ الدكتور: عبد الشافي محمد عبد اللطيف -رحمه الله تعالى-أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر، عضو هيئة كبار العلماء، هذه الدراسة التي تؤرخ لمرحلة مهمة من مراحل البحرية الإسلامية التي ضرب فيها الشعب المصري بسهم وافر في البناء والتشييد، التي جاءت بعنوان: «**دور المصريين في إنشاء البحرية الإسلامية**».

وقد أوضح فضيلته الدور المهم الذي قام به الصحابي الجليل معاوية بن أبي سُفيان -رضي الله عنه- من أجل تأسيس البحرية الإسلامية، فقد استشعر معاوية خطورة عدم وجود بحرية خاصة بالمسلمين في ظل التهديد البيزنطي

المستمر لحدود الدولة الإسلامية الناشئة، فبعد أن مَنَّ اللهُ على المسلمين بفتح الشام ومصر اهتبل معاوية الفرصة لعرض فكرته على الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لكن عمر رفض بعد أن استقصى الأمر من القائد والصحابي عمرو بن العاص -رضي الله عنه- الذي بيَّن له خطورة ركوب العربِ المسلمين البحرَ؛ فهم ليسوا أهلَ بحرٍ، فأرجأ معاوية تنفيذ الفكرة، ولكنه لم يتركها، وما أن تولى الخلافةَ عثمانُ بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ خلفًا لعمر بن الخطاب حتى عرض عليه معاوية الفكرة مرة تلو أخرى، وأخذ يُلِحُّ في الطلب إلى أن وافقه بشروط ذكرها المؤلف في ثنايا دراسته.

وكما استشعر معاوية أهمية وجود أسطول للمسلمين استشعر أيضًا أهمية الدور المصري في بناء هذا الأسطول، فلم يكن ليتسنى له بناء الأسطول بعيدًا عن الدور المصري،

نظرًا لما تمتلكه مصر من خبرات بشرية وإمكانيات مادية، وبالفعل كان للمصريين -كما أوضح فضيلته- الدور الأبرز والأهم في بناء الأسطول، والمشاركة القوية في الحروب البحرية التي خاضتها الدولة الإسلامية بدءًا من غزو قبرص وانتهاءً بالفتوح الإسلامية في بلاد المغرب.

ولم يقف كاتبنا عند الدور المصري في تأسيس الأسطول وإنشائه بل أوضح فضيلته الدور الذي لعبه المصريون في تأسيس الأساطيل العربية في بلاد الشام والمغرب العربي، تلك الأساطيل التي جابت البحار شرقًا وغربًا، وحققت الانتصار تلو الآخر بفضل الله أولًا، ثم بجهود أبناء الشعب المصري الذين لم يألوا جهدًا في نصرة قضايا الأمة منذ ذلك الوقت وحتى وقت الناس هذا.



ولذا نقول: إن هذا العمل العلمي المتميز الذي أفاض فيه فضيلته علينا بفيض من المعلومات التاريخية الضافية (والميسرة) لهو جديرٌ بالقراءة؛ لكي يتعرف القارئ -المتخصص وغير المتخصص، وخاصة شباب الأمة- على الدور الذي قدمته مصر للأمة العربية والإسلامية في المجال العسكري بوجه عام، والبحري على وجه الخصوص، وقد قدمنا بين يدي الكتاب بترجمة يسيرة لمؤلفه -رحمه الله- كما وردت على لسانه والله نسأل أن يأجر كاتبه، وأن ينفع قارئه.

والله من وراء القصد.

الباحثون

بهيئة كبار العلماء

ترجمة المؤلف [١]

الاسم:

أ.د/ عبد الشافي محمد عبد اللطيف وزيري.

المولد والنشأة:

ولد فضيلته بقرية «البلابيش قبلي» الواقعة على الضفة الشرقية لنهر النيل بمركز دار السلام -أولاد طوق سابقًا-محافظة سوهاج، وذلك في العاشر من يوليو عام ألف وتسعمائة وست وثلاثين ميلادية. التحق بكُتَّاب إحدى القرى المجاورة التي تقع على الضفة الغربية لنهر النيل، فكان هو وأترابه يقطعون مسافات طويلة سيرًا على الأقدام

---

(١) تم إعداد هذه الترجمة اعتمادًا على روايته لحياته في برنامج سيرة ومسيرة الذي أُذيع بإذاعة القرآن الكريم بجمهورية مصر العربية، وأيضًا مقابلات شخصية مع فضيلته قبيل وفاته، ومع بعض أفراد أسرته، وكذلك النظر في مؤلفاته وبحوثه.

ذهابًا وإيابًا؛ لحفظ القرآن الكريم، وقد أتم حفظه في الثانية عشرة من عمره، وقد اهتم والده بتعليمه تجويد القرآن الكريم، وكان يعده ليصبح قارئًا للقرآن الكريم.

التدرج العلمي والوظيفي:

كان لوالده دور في توجيهه نحو التعليم، فبعد أن أتمَّ مرحلة حفظ القرآن الكريم ألحقه بمعهد جرجا الابتدائي عام ١٩٥٢م، وكان شيخ المعهد أحد علماء سوهاج، وهو الشيخ ثابت أبو المعالي-الذي كان صديقًا للرئيس المصري جمال عبد الناصر (١٩٥٤-١٩٧٠م) -وخلال مرحلة التعليم الابتدائي درس العديد من متون العلوم الشرعية والعربية؛ كألفية ابن مالك في النحو، ومتن أبي شجاع في الفقه الشافعي، وغيرهما من المتون التي ساهمت في تكوينه العلمي.



وبعد إتمام مرحلة التعليم الابتدائي التحق بالتعليم الثانوي بمعهد جرجا، وحصل منه على شهادة الثانوية الأزهرية، وكان له ترتيب متقدم بين الناجحين.

ثم التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة، ووافق ذلك افتتاح قسم جديد، هو قسم التاريخ والحضارة، فكان من أوائل الطلاب الذين التحقوا بهذا القسم، وفي عام ١٩٦٦م حصل على الإجازة العالية-الليسانس-من كلية اللغة العربية بالقاهرة.

عُين معيدًا بقسم التاريخ والحضارة في نفس عام تخرجه، ثم حصل على درجة التخصص (الماجستير)، وعُين مدرسًا مساعدًا. وقع عليه الاختيار من إدارة الجامعة للسفر إلى بولندا؛ للحصول على درجة العالمية (الدكتوراه)، فسافر إليها في يونيو عام ١٩٧٠م.

خلال فترة دراسته بالخارج درس بمعهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة وارسو -عاصمة بولندا- الذي كان يضم قسمًا خاصًّا باللغة العربية، وآخر باللغة الإيرانية، وثالثًا باللغة التركية، فتعلم على يد مجموعة من الأساتذة المتخصصين في مجال التاريخ الإسلامي.

وخلال سنوات دراسته في بولندا نال الإشادة والتقدير من أساتذته؛ نظرًا لجده في العلم والتحصيل، ولكونه طالبًا أزهريًّا، وخلال مناقشته للحصول على درجة الدكتوراه -وقد كانت لجنة المناقشة مكونة من سبعة أعضاء، يرأسها نائب رئيس الجامعة لشئون الدراسات العليا- تحدث رئيس اللجنة عن الأزهر ومكانته كأقدم جامعة إسلامية لا تزال تقوم بدورها العلمي والثقافي، وبعد مناقشة علمية جادة حصل على درجة الدكتوراه في البحث

الذي قدمه بعنوان: (العلاقات السلمية والتبادل الثقافي بين العرب والبيزنطيين في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين).

ثم عاد إلى مصر، فعُيِّن مدرسًا بقسم التاريخ والحضارة عام ١٩٧٤م، ثم أستاذًا مساعدًا عام ١٩٧٩م، ثم أستاذًا عام ١٩٨٤م، ثم أستاذًا متفرغًا عام ٢٠٠١م.

وامتدت جهوده العلمية خارج مصر؛ حيث سافر معارًا للتدريس للعديد من البلاد العربية، فسافر إلى المملكة العربية السعودية للتدريس بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد ابن سعود فظل بها أربعة أعوام ١٩٧٧-١٩٨١م.

عمل أستاذًا زائرًا في جامعة أم القرى بمكة المكرمة في الفصل الدراسي الثاني عام ١٩٨٣م. سافر إلى جمهورية الجزائر للتدريس بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة الأمير

عبد القادر الجزائري بوهران خمس سنوات ١٩٨٦-١٩٩١م.

وعمل أستاذًا زائرًا في جامعة صنعاء باليمن -كلية الآداب- في الفصل الدراسي الثاني عام ١٩٩٣م.

كما سافر معارًا للتدريس بكلية الآداب بجامعة البحرين لمدة عام دراسي واحد ١٩٩٦-١٩٩٧م.

عضوية اللجان والجمعيات العلمية:

كان عضوًا في العديد من اللجان العلمية والبحثية منها:

١-اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين في التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الأزهر.

٢-لجنة ترقية الأساتذة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، وأم القرى بمكة المكرمة.

٣-الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة.

٤-اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة.

٥-وفي عام ٢٠١٥م عُين فضيلته عضوًا بهيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف.

مؤلفاته العلمية:

أولًا: الكتب

١. مؤتمر السقيفة وبيعة أبي بكر الصديق دراسة نقدية تحليلية. صدر عام (١٩٦٨م)، جمع فيه جميع الروايات التي تتعلق بمؤتمر السقيفة الذي عُقِد بعد وفاة النبي ﷺ، وتم فيه اختيار أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خليفة للمسلمين.

٢.الإدارة في الإسلام. صدر عام (١٩٧٦م).

٣. تعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ).



٤. العالم الإسلامي في العصر الأموي. صدر عام (١٩٨٣م)، يُعد من أهم الكتب التي ألفها فضيلته، تحدث فيه عن الدولة الأموية، وفند كثيرًا من الافتراءات التي كتبت عن التاريخ الأموي، معتمدًا في الرد على الحقائق التاريخية.

٥. تاريخ الإسلام في عصر النبوة والخلافة الراشدة.

٦. التاريخ الإسلامي من عصر الرسول ﷺ إلى نهاية الدولة الأموية -بالاشتراك.

٧. الحركة الوطنية المصرية وموقفها من الاستعمار والصهيونية -بالاشتراك.

٨. مكة المكرمة في الجاهلية وصدر الإسلام.

٩. العلمانية في الفكر الإسلامي.

١٠. أهل الصفة.

١١. أوائل المؤلفين في السيرة النبوية. صدر عام (٢٠٠٥م).

١٢. الجيش المصري من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الإخشيدية من ٢١ ه إلى ٣٥٨ ه.

١٣. سلسلة الجيش المصري عبر التاريخ – أكاديمية ناصر العسكرية.

ثانيًا: البحوث

١. العلاقات بين المسلمين والروم في ضوء غزوة تبوك. نشر في مجلة كلية العلوم الاجتماعية – جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٢. دولة الإسلام وعلاقاتها الدولية في عهد النبي ﷺ. نشر في مجلة كلية العلوم الاجتماعية– جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣.العلاقات بين المسلمين وقريش من الهجرة إلى غزوة بدر. نشر في مجلة كلية العلوم الاجتماعية –جامعة الإمام محمد ابن سعود بالرياض سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨١م.

٤. الإدارة في عهد النبي ﷺ.ألقي في الجمعية المصرية للدراسات التاريخية في الموسم الثقافي ١٩٨٢-١٩٨٣م، ونشر في مجلة الجمعية عام ١٩٨٧م.

٥. صدى الدعوة الإسلامية في مدن الحجاز غير مكة؛ كالطائف والمدينة. ألقي في الندوة العالمية الثالثة لتاريخ شبه الجزيرة العربية في رحاب جامعة الملك سعود بالرياض١٥-٢١ محرم ١٤٠٤ هـ/٢١-٢٧ أكتوبر١٩٨٣م.

٦. قراءة جديدة في موقف عمر بن الخطاب من الفتوحات الإسلامية. نشر في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثالث عشر ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٧ـ دور المصريين في إنشاء البحرية الإسلامية. نشر في كتاب تذكاري أصدره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م بمناسبة مرور أربعة عشَرَ قرنًا على الفتح الإسلامي لمصر. وهو الكتاب الذي بين أيدينا الآن.

٨ـ الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر (آسيا الوسطى) وانتشار الإسلام هناك. ألقي في ندوة عقدت في رحاب جامعة الأزهر عن الإسلام في آسيا الوسطى.

٩. تبادل الوفود والهدايا بين الخلفاء المسلمين والأباطرة البيزنطيين. ألقي في الندوة العالمية التي عقدت في رحاب جامعة فلورنسا بإيطاليا بالاشتراك مع جامعة الأزهر في محرم ١٤١٨هـ/ مايو ١٩٩٧م، وعنوانها: (الإسلام وأوروبا.. ثلاثةَ عشَرَ قرنًا من التاريخ المشترك).

١٠. الأمويون ودورهم في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى الأندلس. ألقي هذا البحث في المؤتمر الدولي الذي نظمته رابطة الجامعات الإسلامية بالتعاون مع معهد الفتح بدمشق وكلية الدراسات الأندلسية بغرناطة في نهاية سنة ٢٠٠٣م، وعنوانه: (أثر الحضارة الإسلامية في الغرب ودور إسبانيا في نقلها).

١١. واقع الإنسان في المجتمعات الإسلامية المعاصرة. ألقي في الملتقى الدولي الذي نظمه المعهد الوطني للتعليم العالي والحضارة الإسلامية في وهران بالجزائر ٢-٤ شعبان ١٤١٩هـ/٢١-٢٣نوفمبر١٩٩٨م، وعنوانه: (الإسلام والدراسات المستقبلية)، ونشر في مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد السابع عشر ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

١٢. نشأة الاستشراق وتطوره إلى نهاية الحروب الصليبية. ألقي في الملتقى الدولي الذي نظمته كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران بالجزائر، وعنوانه: (الدراسات الاستشراقية ..الخطاب والقراءة) أبريل سنة ٢٠٠٠م.

مرضه ووفاته:

عانى فضيلته من المرض في نهاية حياته؛ حيث كان يعاني بعض أمراض الشيخوخة التي جعلته يتحرك ببطء وحذر شديدين، ولكنه ظل صامدًا يحضر دروسه الجامعية، ويلقي أبحاثه العلمية، حتى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها يوم الخميس العاشر من مايو عام ٢٠١٨م.

تمهيد

عندما خطا عمرو بن العاص[1] خطواته الأولى على أرض مصر فاتحًا في نهاية عام ١٨هـ/٦٣٩م كانت مصر آنذاك مستعمرة بيزنطية، وكان الاستعمار البيزنطي لمصر هو الحلقة الأخيرة من سلسلة الاستعمار الأجنبي لها، الذي دام نحو اثني عشَرَ قرنًا من الزمان؛ فقد احلتها الفرس في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، ودام احتلالهم لها زهاء قرنين؛ أي إلى الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد، حيث غزاها الإسكندر المقدوني في سنة ٣٣٢ قبل الميلاد، وبعد وفاة الإسكندر حكمها البطالمة من سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٠

(١) عمرو بن العاص بن وائل، أبو عبد الله ويقال: أبو محمد السهمي، كان يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم، أسلم قبل الفتح، وهاجر إلى النبي ﷺ، وتوفي سنة ٤٣هـ. ابن سعد: «الطبقات الكبرى»: ٤/١٩١، أبو نعيم: «معرفة الصحابة»: ٤/١٩٨٧. (المراجع)

قبل الميلاد، ثم خلفهم الرومان، ثم البيزنطيون إلى أن جاء عمرو بن العاص وفتحها، وخلصها من ظلم البيزنطيين وجبروتهم، ولا يتسع المقام هنا للحديث عن مظالم الحكم الروماني البيزنطي لمصر.

فعمرو بن العاص إذًا قد خلص مصر وحرَّر أهلها من حكم بيزنطي بغيض كانوا يكرهونه أشد الكره؛ ولذلك رحَّبُوا بالفتح الإسلامي لبلادهم، كما تؤكد ذلك المصادر والمراجع قديمها وحديثها[1]، ونظروا إلى العرب الفاتحين على أنهم محررون، وهذا الذي جعل مهمة عمرو بن العاص سهلة إلى حد كبير؛ فمعاركه في مصر وعلى أرضها لم تكن مع شعب مصر ذاته، وإنما كانت مع قوة احتلال بيزنطي

(١) ابن عبد الحكم: «فتوح مصر وأخبارها»: ص٤٩. وانظر: توماس أرنولد: «الدعوة إلى الإسلام»: ص ١٢٣.

مكروه إلى أبعد حدود الكُرْهِ من ذلك الشعب، وكان عمرو ابن العاص يعرف ذلك حق المعرفة؛ ولذلك جاء إلى مصر على رأس قوة صغيرة نسبيًّا -أربعة آلاف جندي في البداية، ثم تزايد العدد إلى أن وصل إلى اثني عشَرَ ألفًا- قابل بهذا الجيش الصغير جيوش البيزنطيين التي كانت مرابطة في مصر، وقوامها مائة ألف جندي(١)، بالإضافة إلى الفلول التي انهزمت في الشام ولجأت إلى مصر، وانتصر على كل هذه الأعداد الكبيرة؛ لأنها فقدت روح القتال، وهبطت معنوياتها إلى الحضيض، ولم تستطع الصمود في أية معركة أمام الجيش الإسلامي، بدءًا من حصار الفرما وسقوطها، مرورًا بمعارك بلبيس وأم دُنَيْن(٢) وعين شمس، وحصن بابليون(١)،

---

(١) ابن عبد الحكم: «فتوح مصر وأخبارها»: ص٥٦.

(٢) أُمُّ دُنَيْن: بضم الدال، وفتح النون، وياء ساكنة، ونون. كانت من الموانئ المهمة على نهر النيل قبل الفتح الإسلامي لمصر. ياقوت الحموي: «معجم

ثم معاركه في الدلتا حتى فتح الإسكندرية سنة ٢١هـ/٦٤٢م. واستغرق هذا الفتح نحو ثلاث سنوات[٢].

وكان فتح مصر أسهل فتح حققه العرب في بلد من البلاد؛ بسبب ترحيب المصريين بهم ومساعدتهم لهم، وقد كان العرب عند حسن ظن المصريين، فأحسنوا معاملتهم واحترموا عقيدتهم، ووفروا لهم حرية الدين التي افتقدوها في العهد البيزنطي، وأعادوا لهم رأس كنيستهم؛ البطريرك بنيامين الذي كان مطاردًا ومحكومًا عليه بالإعدام من

البلدان»: ١/ ٢٥١. (المراجع)

(١) بابِلْيُونُ: الباء الثانية مكسورة، واللام ساكنة، وياء مضمومة، وواو ساكنة، ونون. كان قديمًا يعتبر اسمًا لديار مصر كلها. يقع مكانه الآن بمصر القديمة. ياقوت الحموي: «معجم البلدان»: ١/٣١١. (المراجع)

(٢) انظر هذه المعارك في «تاريخ الطبري»: ٤/١٠٤، وما بعدها، د/أحمد شلبي «التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية»: ١/٢٥٨، وما بعدها، د. شكري فيصل «حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول»: ص ١١٨، وما بعدها.

السلطات البيزنطية، لكن عمرو بن العاص لم يعده إلى كنيسته معززًا مكرمًا فقط، وإنما جعله من أقرب المقربين، بل مستشاره في شئون مصر الإدارية والمالية.

قد خصصتُ هذا البحث لموضوع محدد؛ وهو دور المصريين في إنشاء البحرية الإسلامية وبناء الأساطيل الحربية، لا لمصر وحدها بل لبلاد الشام وبلاد المغرب العربي الإسلامي؛ لأن مصر أصبحت منذ الفتح الإسلامي هي حصن الإسلام ورباطه في جناحه الغربي، أي حارسة أرضه والذائدة عن حياضه؛ وهذا أمر قد أخبر عنه النبي ﷺ قبل الفتح بسنوات؛ فقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا؛ فذلك الجند خير أجناد الأرض»،

فقال أبو بكر: ولـِمَ يا رسول الله؟ قال:«لأنهم وأزاوجهم في رباط إلى يوم القيامة»(١)

فكلما أَلَمَّ بالإسلام خطر داهم كانت مصر هي المنقذ، وقد تكرر ذلك كثيرًا، فمصر هى التي تصدَّت للصليبيين، وضربتهم ضربتها القاضية في حطين على أرض

---

(١) أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر»: ص١٦٧، وأبو محمد بن زولاق المصري في «فضائل مصر»: ص ٨٣، ٨٤، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف»: ١٠٠٣/٢، ١٠٠٤، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»: ١٦٢/٤٦، ١٦٣. جميعًا من طريق ابن لهيعة، عن الأسود بن مالك الحميرى، عن بحير بن ذاخر المعافري ... وذكر قصة، وفيها: وحدثنى عمر أمير المؤمنين، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «إذا فتح الله عليكم مصر، فاتخذوا فيها جندًا كثيفًا، فذلك الجند خير أجناد الأرض» فقال له أبو بكر: ولمَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة». قال السيوطي: وفيه ابن لهيعة عن الأسود بن مالك الحميري عن بحر بن داخر المعافري، ولم أر للأسود ترجمة إلا أن ابن حبان ذكر في الثقات أنه يروى عن بحر بن داخر ووثق بحرًا. «جمع الجوامع» :٢٧/ ٣٣٦، و«كنز العمال»: ١٤/ ١٦٨. (المراجع)

فلسطين، على يد البطل العظيم صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م[١]، ثم تابع حكام مصر بعده -سواء من أسرته أو من المماليك- محاصرة الصليبيين ومطاردتهم، حتى طهَّروا منهم أرض المشرق الإسلامي في نهاية المطاف.

ومصر هي التي تصدت للهجمة المغولية[٢] المتوحشة، التي داهمت العالم الإسلامي من المشرق،

---

(١) د.سعيد عبد الفتاح عاشور: «الحركة الصليبية»: ٢/٦٢٥، وما بعدها.

(٢) المغول: قبائل رعوية كانت تعيش في المنطقة الواقعة في وسط آسيا بين نهري (سيحون وجيحون) من الغرب حتى حدود الصين الجبلية من جهة الشرق ممتدة حتى أقصى الشمال الشرقي لآسيا. وكانَ المغول من أصلب المقاتلين وأكثرهم شراسة، وقد ساعدهم على ذلك الظروف الصعبة التي نشئوا فيها، وأيضًا وعورة أراضيهم، فقد سكنوا الجبال والبراري المقفرة، وكذلك مواطن الثلوج والأماكن المتجمّدة. الهمذاني: «جامع التواريخ»: ١/٥٠. (المراجع)

واكتسحته اكتساحًا، وأحدثت فيه من المجازر الوحشية ما لم يعرفه العالم قبل ذلك قَطُّ، وأعملت التخريب والتدمير في مدنه العامرة، بدءًا من سمرقند(١) وبخارى(٢) إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية(٣)، وبعدها مدن الشام العامرة، ولم يستطع أحد أن يوقف هذا السيل الوحشي المدمر إلا جيش

---

(١) سمرقند: بفتح أوّله وثانيه، ويقال لها بالعربية: سمران. ياقوت الحموي: «معجم البلدان»: ٢٤٦/٣. تقع في دولة أوزبكستان الحالية، وتعد مركزًا لصناعة الثياب. يحيى شامي: «موسوعة المدن»: ص ٤١٢. (المراجع)

(٢) بُخارى: بالضم: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، بينها وبين نهر جيحون يومين. ياقوت الحموي: «معجم البلدان»: ٣٥٣/١.تقع حاليًّا في دولة أوزبكستان، وتعد مركزًا للصناعات اليدوية. يحيى شامي: «موسوعة المدن»: ص٤٠٩. (المراجع)

(٣) دخل المغول بغداد عاصمة الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م بقيادة هولاكو، وقتلوا الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين، وارتكبوا المذابح في أهلها، فلم يسلم منهم النساء ولا الأطفال، كما استولوا على كل الأموال والثروات التي كانت توجد بها. ابن كثير: «البداية والنهاية»: ٢٣٥/١٣، وما بعدها. (المراجع)

مصر في عين جالوت، على أرض فلسطين أيضًا بقيادة السلطان قطز، والقائد الفذ الظاهر بيبرس سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م[١].

ومصر هي التي تصدت وتتصدى للهجمة الصهيونية المعاصرة، المدعومة بكل جبروت أمريكا وأوروبا العسكري والسياسي، وقد قطع جيش مصر البطل الذراع الصهيونية وقهر جيشها الذي قيل عنه إنه لا يُقهر.

فمصر -بموقعها الإستراتيجي الفريد، ورصيدها الحضاري العظيم، وشعبها الحي المكافح والمتسامح في نفس الوقت- لها دور ومكانة لا تستطيع أبدًا أن تتخلى عن هذا الدور في الدفاع عن الإسلام؛ فهذا ما عناه الرسول ﷺ عندما أوصى أصحابه أن يتخذوا فيها جندًا كثيفًا بعد الفتح؛

---

(١) ابن كثير: «البداية والنهاية»: ١٣/ ٢٢٠، وما بعدها.

ليرابط فيها حارسًا للإسلام ومدافعًا عنه ضد كل من يحاول الاعتداء على مشرقه أو مغربه، وقول الرسول ﷺ هذا عن مصر يدل على أنه كان واثقًا كل الثقة من ذلك الفتح قبل وقوعه بسنوات، حتى المقوقس نفسه الذي كان يحكم مصرالذي كتب إليه النبي ﷺ كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، مع أنه لم يسلم وضنَّ بملكه، وهذا تعبيره هو نفسه، حيث قال لحاطب بن أبي بلتعة[1] حامل رسالة النبي إليه، بعد أن ذكر أشياء من صفات النبي ﷺ : «القبط لا يطاوعوني في اتباعه، ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك، وأنا أضن بملكي أن أفارقه، وسيظهر على البلاد، وينزل بساحاتنا هذه أصحابه

(١) حاطب بن أبي بلتعة اللخمي. شهد بدرًا، والحديبية، ومات سنة ثلاثين بالمدينة، وهو ابن خمس وستين سنة. ابن عبد البر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»: ١/٢١٣. (المراجع)



من بعده، حتى تظهر على من هٰهنا، فارجع إلى صاحبك، فقد أمرت له بهدايا وجاريتين؛ أختين، وبغلة من مراكبي ...»[(١)].

فالمقوقس يعترف بصريح العبارة أن فتح المسلمين لمصر أمر محتم، ولا مناص منه، والمسألة مسألة وقت لا أكثر، ومع ذلك رفض الإسلام ضنًّا بملكه الدنيوي، وهذا ما علق به النبي ﷺ على موقفه هذا عندما عاد إليه سفيره حاطب بن أبي بلتعة، وقصَّ عليه القصة، فقد قال: «ضنَّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه»[(٢)].

---

(١) ابن سيد الناس: «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»: ٣٣٨/٢.
وراجع أيضًا محمد حميد الله: «مجموعة الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة»: ص١٣٥-١٣٧.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٠٠)، وابن سيد الناس في عيون الأثر : (٢/ ٢٨٨)، ويراجع نصب الراية للزيلعي :(٤/ ٤٢٢).

وخلاصة القول في فتح العرب مصر أنهم حرروا شعبها من استعباد البيزنطيين وظلمهم، وعمَّروا البلاد بعد أن خربها البيزنطيون، حتى الكنائس والأديرة التي دمروها أصلحها الفاتح العظيم عمرو بن العاص، ومنح المصريين الذي بقوا على نصرانيتهم حرية دينية لم يعرفوها طوال تاريخهم المسيحي كله[١].

---

(١) «الدعوة إلى الإسلام»: ص ١٢٣.

بداية التفكير في إنشاء قوة بحرية إسلامية

أول من أدرك ضرورة امتلاك المسلمين قوة بحرية تحمي شواطئهم في مصر والشام ضد هجمات الأساطيل البيزنطية هو أمير الشام معاوية بن أبي سفيان[١]، والذي جعل معاوية يدرك هذا ويفكر فيه تجربته العملية أثناء فتح سواحل الشام ومدنه الحصينة التي لم تكن مجرد موانئ بحرية، بل كانت ترسانات حربية بيزنطية، من طرسوس[٢] شمالًا حتى غزة جنوبًا، فقد عانى معاوية عناءً شديدًا في فتح تلك الموانئ -التي كانت تأتيها الإمدادات تباعًا من

(١) د.إبراهيم أحمد العدوي: «الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط»:ص٧.

(٢) طرسوس: بفتح أوله وثانيه، معروف من الثغور الجزرية، وهي كلمة أعجمية رومية، تقع بين أنطاكيا وحلب ولها ستة أبواب، ويشقها نهر البردون، ويوجد قبر المأمون بها. ياقوت الحموي: «معجم البلدان»: ٤/ ٢٨. (المراجع)

القسطنطينية[١]- وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط التي كانت كلها تحت حكم البيزنطيين؛ العدو الأول والأخطر للمسلمين آنذاك.

ولما أتم معاوية فتح مدن سواحل الشام كلها أدرك ببصيرة عسكرية نافذة ووعي سياسي كبير أنه دون أن يمتلك المسلمون قوة بحرية فعالة -تحمي تلك الشواطئ من هجمات الأساطيل البيزنطية التي كانت تسيطر سيطرة كاملة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط الذي كان يُسمى بحر

---

(١) **القسطنطينية**: هي مدينة بناها الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الأول، في موقع مدينة قديمة كان يُطلق عليها بيزنطة أو (بيزنطيوم Byzantium)، وقد شرع في بنائها عام٣٢٤م، وافتتحها في حفل مهيب عام٣٣٠م. نورمان بينز: «الإمبراطورية البيزنطية»: ص٧، عفاف سيد صبرة: «تاريخ الدولة البيزنطية»: ص ٢٢. (المراجع)

الروم-فإن كل الجهود التي بذلوها في فتح الشام وشواطئه قد تذهب أدراج الرياح.

معارضة عمر بنِ الخطابِ مشروع معاوية

اقتنع معاوية -ومعه كل الحق- بفكرته، وعرضها على الخليفة عمر بن الخطاب، وشرح له أهميتها، وجسَّم له الخطر البيزنطي تجسيمًا مخيفًا، وقال له عن جزيرة قبرص بالذات التي كانت قاعدة بحرية بيزنطية متقدمة في مواجهة شواطئ الشام: «يا أمير المؤمنين، إن أهل حمص يسمعون نباح كلابها وصياح دجاجها»[1]. معنى هذا أنها قريبة جدًّا من شواطئنا، وتستطيع الأساطيل البيزنطية أن تهاجمنا في أي وقت، وفي أسرع وقت، وتفعل بنا ما تشاء.

ولكن على الرغم من كل هذا فقد رفض عمر الفكرة رفضًا قاطعًا، ولم يتزحزح عن موقفه، وربما زاده إصرارًا على الرفض ما جاء من عمرو بن العاص في وصف البحر

---

(١) «تاريخ الطبري»: ٤/ ٢٥٨.

عندما استطلع رأيه في الأمر -كما تروي مصادر التاريخ[١]- فقد جاء وصف عمرو بن العاص للبحر مخيفًا ومفزعًا[٢] فزاد من مخاوف عمر بن الخطاب على المسلمين من أهوال البحر وأخطاره؛ ولذلك رَدَّ على معاوية بقوله: «والذي بعث محمدًا بالحق لا أحمل فيه مسلمًا أبدًا، وتالله لمسلم واحد أحب إلي مما حوته الروم، فإياك أن تعرض لي وقد تقدمت إليك»[٣].

استقر رأي عمر بن الخطاب على رفض مشروع معاوية رفضًا قاطعًا، ولا يظن أحد أنه لم يكن مدركًا الخطر

---

(١) السابق.

(٢) كان مما ذكره عمرو في كتابه: «يا أمير المؤمنين، رأيت البحر خلقًا كبيرًا يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء، إن ركد حزَّن القلوب، وإن زلَّ أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلة، والشك كثرة، هم فيه كدود على عود، إن مال غرق، وإن نجا برق» المقريزي: «المواعظ والاعتبار»: ٣/ ٧. (المراجع).

(٣) « تاريخ الطبري»: ٤/ ٢٥٩.

الذي كان يدركه معاوية، بل كان يحكمه حرصُه الشديد على أرواح المسلمين وسلامتهم، ومسئوليته عنهم التي تحتم عليه أن يجنبهم أهوال البحر وأخطاره؛ ولذلك كان قوله لمعاوية: «لمسلم واحد أحب إليَّ مما حوته الروم».

ثم أمر آخر كان عمر مقتنعًا به في قرارة نفسه؛ وهو أن العرب كانوا يومئذ يفتقرون إلى الخبرة البحرية الكافية التي تمكنهم من بناء أساطيل بحرية يستطيعون بها منازلة الأساطيل البيزنطية العتيدة ذات الخبرة البحرية الطويلة، فالوقت من وجهة نظر عمر لم يَحِنْ بعدُ لنزول المسلمين إلى البحر محاربين، وسيأتي في المستقبل -لا محالة- الوقت الذي تتوفر لهم فيه الخبرة، وعندها فلا مانع، وعمر بن الخطاب كان في إصراره على رفض مشروع معاوية مدفوعًا بتجربتين فاشلتين للمسلمين في الغزو في البحر، وهذا

الفشل في كلتا التجربتين قوَّى عنده يقينه بأن الوقت لا يزال مبكرًا على نزول المسلمين البحر.

التجربة الأولى:

تلك التي قام بها العلاء بن الحضرمي[١]، الذي كان عاملًا لعمر بن الخطاب على البحرين، حين غزا فارسَ من البحرين بقوة بحرية دون إذن من عمر بن الخطاب، وتقدم إلى مدينة إصطخر[٢] -برسي بوليس (Persepolis)- وأراد أن يحقق نصرًا فذًّا يكون له دويٌّ، ينافس به سعد بن أبي وقاص بطل القادسية، وفاتح العراق؛ ولكنه تعرض

(١) العلاء بن الحضرمي. واسم الحضرمي: عبد الله بن ضماد بن سلمى بن أكبر من حضرموت من اليمن. توفي عام ٢١هـ. ابن سعد: «الطبقات الكبرى»: ٤/ ٢٦٦. (المُراجِع)

(٢) إِصْطخْر: بالكسر، وسكون الخاء المعجمة، تقع في بلاد فارسَ، وقد تم فتحها نهائيًّا في عهد عثمان بن عفان. ياقوت الحموي «معجم البلدان»: ١/ ٢١١، ٢١٢. (المراجع)

لكارثة، فقد حاصره الفرس، بعد أن نزل إلى البر، وقطعوا عليه خط الرجعة، وكاد يهلك هو ومن معه من الجنود، ولم تنقذه إلا قوة جاءته سريعًا من العراق بقيادة عتبة بن غزوان[١] بأمر من عمر بن الخطاب، لما علم بما صنعه العلاء، وما عرض نفسه وجنوده له من البلاء. ولم يفلت العلاء من عقاب عمر بن الخطاب على تسرعه وتعريضه المسلمين لهذا الخطر فقد عزله من إمارة البحرين، وكلفه بأثقل الأمور عليه -حسب تعبير ابن الأثير[٢]- حيث جعله تحت قيادة سعد بن أبي وقاص.

---

(١) عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب بن نسيب بن زيد بن مالك بن الحارث. كان ممن هاجر إلى أرض الحبشة، وشهد بدرًا. توفي سنة ١٧، وقيل: سنة ١٥. ابن سعد: «الطبقات الكبرى»: ٧/ ٥. (المراجع)

(٢) ابن الأثير: «الكامل في التاريخ»: ٢/ ٥٣٨، ٥٣٩.

التجربة الثانية:

في سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م هاجمت قوة بحرية من الحبشة شواطئ اليمن والحجاز، فأرسل عمر بن الخطاب حملة بحرية لتأديبهم بقيادة علقمة بن مجزز[١]، إلا أن هذه الحملة منيت بخسارة فادحة، وغرقت السفن كلها[٢].

فبسبب هذه الكوارث المتتابعة كان تصميم عمر بن الخطاب على عدم خوض غمار البحار في ذلك الوقت المبكر.

معاوية ينجح في أخذ موافقة عثمان بن عفان:

ظل عمر بن الخطاب ثابتًا على موقفه المعارض بشدة للبدء في بناء أسطول بحري عسكري إسلامي إلى أن

---

(١) علقمة بن مجزز بن الأعور بن جعدة بن معاذ بن عتوارة بن عمرو بن مدلج. ولَّاه النبي ﷺ بعض جيوشه. ابن عساكر: «تاريخ دمشق»: ٤١/١٩١-١٩٥. (المراجع)

(٢) «تاريخ الطبري»: ٤/ ١١٢.



لقي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ربه وظل معاوية ثابتًا على رأيه في ضرورة البدء فورًا في إنشاء هذا الأسطول.

فلما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان في نهاية سنة ٢٣هـ/ ٦٤٤م جدَّد معاوية مطالبته بالبدء في إنشاء الأسطول، وفاتح عثمان في الأمر، لكن عثمان لم يستجب له بسهولة، بل قال له: «شهدت ما رَدَّ عليك به عمر -رحمه الله- حين استأمرته في غزو البحر»[1]، أي أن عثمان كان يعرف رأي عمر في القضية، وهو ليس أقل من عمر حرصًا على سلامة المسلمين.

غير أن معاوية لم ييأس؛ بل واصل إلحاحه على عثمان حتى ظفر منه بالموافقة المشروطة في نهاية المطاف، وهي أن يستعد للأمر استعدادًا جيدًا، وألا يكره أحدًا من

---

(١) البلاذري: «فتوح البلدان»: ص١٨١.

المسلمين على الغزو في البحر، وأن يكون هو نفسه على رأس الغزاة، ومعه امرأته، فقد قال له: «فإن ركبت البحر ومعك امرأتك، فاركبه مأذونًا لك، وإلا فلا»[1]، وهذا الشرط -الذي أكَّد عليه الخليفة عثمان بن عفان- كان يقصد منه أنه إذا أخذ معه امرأته فإنه سوف يستبسل في القتال؛ حفاظًا على عرضه.

وهذه عادة عربية قديمة، فقد كان اصطحابهم لزوجاتهم في القتال بمثابة دافع إضافي للاستبسال في القتال؛ وذلك من شدة حرص العربي على عرضه، فإذا أدرك أن عرضه معرض للخطر فإنه عندئذ يفضل الموت على الحياة.

---

(١) المصدر السابق: ص ١٨١.

على كل حال ظفر معاوية أخيرًا بموافقة الخليفة على البدء في إنشاء أسطول إسلامي، فبدأ على الفور، وفي غضون سنوات قليلة ظهر الأسطول الإسلامي، وأصبح للمسلمين قوة بحرية هائلة، حققت أمجادًا وانتصاراتٍ باهرةً.

العلاقة بين مصر والشام

إذا كانت الدعوة إلى بناء قوة بحرية إسلامية جاءت من معاوية بن أبي سفيان، أمير الشام إلا أن الدور الأهم في بناء تلك القوة اضطلعت به مصر، ومعاوية نفسه كان يعرف أنه دون تعاون بين الشام ومصر فلن يكتب لمشروعه أن يرى النور، ويصبح حقيقة واقعة، والشام ومصر حينئذ أجزاء من الدولة الإسلامية، والتعاون بينهما لن تكون أمامه عوائق، لا سيما في ظل حكم أميرين من طراز معاوية أمير الشام، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح أمير مصر(١)، وكانت نتيجة هذا

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري، أسلم قبل الفتح، وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد مشركًا، ثم أسلم يوم الفتح. قام بحركة كبيرة في الفتوحات الإسلامية، ولّاه الخليفة عثمان بن عفان على مصر سنة (٢٧هـ) توفي سنة ست أو سبع وثلاثين للهجرة. ابن عبد البر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»: ٣/ ٩١٨-٩٢٠. (المراجع)

التعاون عظيمة وباهرة، فقد نشأت قوة إسلامية هائلة، أثبتت وجودها بسرعة فائقة، وحققت انتصارات باهرة على البيزنطيين، وانتزعت منهم جزيرة قبرص عام **٣٣**هـ[١]، وحققت انتصارًا حاسمًا في موقعة ذات الصواري سنة **٣٤**هـ، وأخذ الأسطول الإسلامي السيادة على البحر المتوسط من البيزنطيين، ونجح في ذلك حتى غدا ذلك البحر إسلاميًّا لعدة قرون تالية.

وقصة التعاون بين مصر والشام تؤكد الارتباط القوي بين أمن مصر وأمن الشام، فأية قوة تمتلك مصر لا تكون آمنة

(١) غزا معاوية جزيرة قبرص بقوة بحرية شامية مصرية مشتركة سنة ٢٨هـ، ومع أنه انتصر وامتلك الجزيرة إلا أنه انسحب منها بشروط، فلما أخل أهل قبرص بالشروط غزاها مرة أخرى سنة ٣٣هـ، وضمها إلى الدولة الإسلامية، ونقل إليها اثني عشَرَ ألف أسرة من الشام، وأسكنهم فيها وبنى لهم المساجد والأسواق. للمزيد راجع: عبد الشافي محمد عبد اللطيف: «العالم الإسلامي في العصر الأموي»: ص ٢٣٤-٢٣٦.

إذا كانت الشام في يد قوة معادية، وهذه حقيقة اكتشفها الفراعنة منذ وقت مبكر، وأول من أدركها الفرعون تحتمس الثالث عندما طارد الحيثيين وانتصر عليهم في معركة مجدو سنة (**١٤٧٩** ق.م)[١]، ورفع العلم المصري عند شط الفرات في أقصى شمال شرق الشام، وقال: هذه حدود مصر الشرقية[٢].

وكذلك الحال بالنسبة للشام، فلن تكون آمنة إذا كانت مصر في يد قوة معادية، وليس سرًّا أن عمرو بن العاص

---

(١) جرت هذه المعركة عند (مجدو) التي كانت مركزًا منيعًا؛ لوقوعها بين سلسلتي جبال لبنان، وإشرافها على الطريق الموصل مصر ببلاد العراق. للتفاصيل عن المعركة يراجع: جيمس هنري برستد: «تاريخ مصر منذ أقدم العصور»: ص ٢٣٥-٢٤٣. (المراجع)

(٢) د. شكري فيصل: «حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول»: ص ١١٠.

عندما فكر في فتح مصر كان يرمي من وراء ذلك إلى تأمين الوجود الإسلامي في الشام.

وطوال مراحل التاريخ الإسلامي أدرك حكام المسلمين ضرورة الوحدة بين الشام ومصر؛ فعندما حدث الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان أمير الشام، كان أول ما فكر فيه الأخير هو ضم مصر إلى دولته، وكان نجاحه في ذلك مفتاح نجاحه في الوصول إلى الخلافة، وبناء دولة أموية أصبح لها في التاريخ الإسلامي شأن كبير، وكذلك الحال عندما تعرضت الدولة الأموية للزوال بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة **٦٤**هـ وكادت تضيع، عندئذ ظهر مروان بن الحكم بن أبي العاص[١]، واستطاع أن

---

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. كان كاتبًا لابن عمه عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تولى إمارة المدينة لمعاوية غير مرة، وبايعوه بالخلافة بعد معاوية بن يزيد بن معاوية. توفي==

يلم شمل الأمويين من جديد فبايعوه بالخلافة، واستهل عهده بالانتصارعلى أنصار عبد الله بن الزبير في معركة مرج راهط الشهيرة[1]، واستطاع استعادة الشام، فكان أول ما فكر فيه بعد ذلك هو ضم مصر إلى الشام، انطلاقًا من فهم إستراتيجي سليم، وهو أنه إذا نجح في ضم مصر إلى الشام فلن تستطيع قوة أن تقف في طريقه، وهذا ما حدث بالضبط، فبعد أن نجح في استرداد مصر من عبد الله بن الزبير، كان ذلك مفتاح نجاح خليفته وابنه عبد الملك في دحر قوات عبد الله بن الزبير، بل ودحر كل خصومه في العراق وبلاد فارس والحجاز، وإعادة توحيد الدولة الإسلامية سنة **٧٣**هـ؛ حتى وصفه المؤرخون بأنه المؤسس الثاني للدولة الأموية.

سنة٧٠ للهجرة. ابن سعد: «الطبقات الكبرى»: ٥/ ٢٦. (المراجع)

(١) حدثت هذه المعركة عام ٦٤هـ/٦٨٤م، للمزيد راجع: «تاريخ الطبري»:٥/٥٣٥، وما بعدها.

وهكذا أخذت هذه التجارب تؤكد أن التحام الشام ومصر في دولة واحدة يجعلها قوة كبيرة ذات تأثير خطير على مجريات الأمور في الشرق كله.

فصلاح الدين الأيوبي نجح في الانتصار على الصليبيين في حطين وما بعدها؛ لأنه تمكن من توحيد مصر والشام تحت حكمه، وكان بدوره مدركًا لأهمية ذلك، ولم يبدأ عمله ضد الصليبيين إلا بعد أن تمكن من ضم الشام إلى دولته، وعلى خطاه سار المماليك في مقاومة الصليبيين والمغول، وانتصروا عليهم، وطهروا أرض الإسلام منهم.

وأعداء الأمة العربية والإسلامية يدركون ذلك جيدًا فعندما قامت الوحدة بين مصر وسوريا في **٢٢** فبراير سنة **١٩٥٨**م، فيما عرف بالجمهورية العربية المتحدة، عندئذ أدركت القوى الاستعمارية الغربية أن الخطر أصبح وشيكًا

على صنيعتهم إسرائيل التي زرعوها في بلادنا وخططوا لبقائها، وقالوا: إن إسرائيل أصبحت بين كسارة البندق سوريا من الشمال ومصر من الجنوب؛ لذلك لم يهدأ لكل القوى المعادية للعروبة والإسلام بال إلا بعد أن تمكنوا بكل الوسائل من فصل سوريا عن مصر في **٢٨** سبتمبر سنة **١٩٦١**م[(١)].

هذه هي عبر التاريخ ودروسه عن الارتباط الأمني الوثيق بين الشام ومصر.

فالبيزنطيون أنفسهم كانوا مدركين لأهمية الارتباط بين الشام ومصر، وهما تحت حكمهم، خاصة في الشئون البحرية (فكان التقسيم الإداري للدولة البيزنطية قبل ظهور

---

(١) للتفاصيل عن موقف إسرائيل من الوحدة المصرية السورية يُنظر: عبد الحميد شلبي: «موقف إسرائيل من قيام الجمهورية العربية المتحدة». (المراجع).

الإسلام يجمع بين الشام ومصر في العمليات البحرية، ويقضي بتعبئة أساطيلهما معًا؛ لإخضاع العناصر التي تشق عصا الطاعة على السلطات البيزنطية في أي بلد من البلاد التابعة لها في حوض البحر الأبيض المتوسط، وفضلاً عن ذلك ربطت العوامل الطبيعية بين مصر والشام في الشئون البحرية، وجعلت كلاًّ منهما لا تستغني عن الأخرى، ولكن في ظل الإسلام انتظمت العلاقات بينهما على أساس التعاون لما فيه نصرة الإسلام، ولا سيما أمام عدوهم المشترك من البيزنطيين)[١].

---

(١) د. إبراهيم العدوي: «مصر الإسلامية»: ص ١٨، ١٩. (المراجع)

دور الصناعة البحرية في مصر وأثرها في إنشاء الأساطيل الإسلامية

كانت مصر مركزًا من مراكز صناعة السفن الحربية أثناء الحكم البيزنطي، ولأهلها خبرة طويلة في هذا الميدان، ومن المراكز المهمة دار الصناعة في الإسكندرية ودمياط ورشيد وتنيس والقلزم -السويس- ودار الصناعة اسم للمكان المعد لإنشاء السفن، والعرب هم أول من استعمل هذه التسمية، وعنهم أخذها الأوروبيون بعد اتصالهم بالعرب في الأندلس، وأثناء الحروب الصليبية في الشرق، فأطلق الإيطاليون على دار الصناعة اسم: DARSENA ARSENALE، وأطلق عليها الإسبان: ARSENAL.

هذه الدور المخصصة لصناعة السفن -التي كانت منتشرة في مصر على شواطئ البحرين الأحمر والأبيض المتوسط-

هي التي اضطلعت بمهمة بناء الأساطيل البحرية الإسلامية، لا في مصر وحدها، بل في الشام وبلاد المغرب أيضًا، وكانت هذه الدور تمثل كنزًا ثمينًا للعرب المسلمين، وهم بصدد بناء قوة بحرية تنازل الأساطيل البيزنطية العتيدة في البحر الأبيض المتوسط.

وقد عوضت الخبرات المصرية في هذا الميدان ما كان يفتقر إليه العرب في مطلع عهدهم؛ فالعرب وإن كانوا يفتقرون للخبرات اللازمة لبناء السفن الحربية فإنهم كانوا يمتلكون الشجاعة والواقعية للاعتراف بذلك، وفي الوقت نفسه كان لديهم الاستعداد للتعلم من الآخرين كل ما هم في حاجة إليه.

وقد تعلموا من أبناء البلاد المفتوحة كثيرًا من الأشياء التي لم يكونوا يجيدونها، وأبناء البلاد المفتوحة أنفسهم



أقبلوا على خدمة العرب الفاتحين بكل ما أوتوا من قوة؛ نتيجة لسياسة التسامح والعدل وإطلاق الحريات، وبصفة خاصة الحرية الدينية التي نعموا بها تحت الحكم العربي.

يقول ابن خلدون في هذا الصدد: «فلما استقر الملك للعرب، وشمخ سلطانهم، وصارت أمم البحر خولًا لهم[1]، وتحت أيديهم، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته، واستخدموا من النواتية[2] في حاجاتهم البحرية أممًا،

(١) خولًا لهم: أي في خدمتهم، وأخذها ابن خلدون من حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه عن الرقيق: «إخوانكم خولكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس. ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم». أخرجه البخاري في صحيحه: ١/ ١٥ رقم (٣٠). (المراجع)

(٢) النوتي: الملاح الذي يدبر السفينة في البحر، و(النوت) هو التمايل من ضعف أو من نعاس، فكأن النوتي يُمِيلُ السفينة من جانب إلى جانب، كما أنه سمي ملاحًا؛ لملازمته الماء المالح. ينظر «تاج العروس» مادة (نوت)، ومادة (ملح). (المراجع)

وتكررت ممارستهم البحر وثقافته، واستخدموا بصراء بها، فتاقت نفسوهم إلى الجهاد فيه، وأنشئوا فيه السفن والشواني[(١)]، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح، وأمطوها[(٢)] العساكر المقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب إلى هذا البحر وعلى حافته»[(٣)].

كانت مصر أول بلد استفاد العرب الفاتحون من خبرته في بناء أساطيلهم البحرية[(٤)] ولم يدخر أبناء مصر–من

(١) الشواني: مفردها (شُونة)، وهي: المركب المعد للجهاد في البحر، وهي لغة مِصْرِيَّة. «تاج العروس» مادة (شون). (المراجع)

(٢) أمطوها العساكر: أي جعلوها مَطِيَّة لهم. ينظر «تاج العروس» مادة (مطو). (المراجع)

(٣) «مقدمة ابن خلدون»: ٢/ ٦٩٠.

(٤) د. إبراهيم العدوي: «الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط»: ص ١٧، ١٨.

أسلم منهم ومن بقي على مسيحيته- وُسْعًا في تقديم خبرتهم للعرب الفاتحين، وفي التفاني في خدمتهم لما رَأَوْه منهم من تسامح وحسن معاملة.

دار الصناعة في الإسكندرية:

كانت الإسكندرية عاصمة مصر -منذ أنشأها الإسكندر الأكبر المقدوني سنة ٣٣٢ ق.م إلى الفتح الإسلامي لمصر- من أكبر دور صناعة السفن لا الحربية فقط، بل التجارية أيضًا؛ لأنها كانت من أكبر أسواق العالم، وأكثر ثغوره ازدحامًا وحركة في تجارة القمح والكتان والورق والزجاج، وغير ذلك من منتجات البلاد الزراعية والصناعية، وكان تصدير هذه المنتجات يحتاج إلى أسطول من المراكب التجارية لنقلها إلى شتى موانئ البحرين الأحمر والأبيض المتوسط، وإلى جانب المراكب التجارية كانت مصر تصنع السفن الحربية للدولة البيزنطية، التي كان بعضها يسع ألف رجل، وهي السفن التي كانت تشبه ما يطلق عليه البوارج في العصر الحاضر، وهناك سفن كان حجمها أصغر،

تسع الواحدة منها مائة رجل، ويمكن تسمية ذلك النوع الصغير بالطرادات[١].

كان من الطبيعي وقد انعقد عزم العرب على بناء أساطيلهم البحرية أن يهتموا بالقائم من دور الصناعة، وبصفة خاصة في مصر، وكان من الطبيعي أن تكون مدينة الإسكندرية من أوائل المدن البحرية التي يولونها عنايتهم، خصوصًا أنها معرضة أكثر من غيرها لهجمات الأساطيل البيزنطية، فالبيزنطيون لم يرفعوا عيونهم عنها منذ أن فتحها العرب، ولم يفقدوا الأمل في استعادتها، كما نجحوا في استعادتها من الفرس من قبل، ومما زاد من عناية العرب الفاتحين بالإسكندرية تعرضها لهجوم بحري بيزنطي خطير،

(١) د. سعاد ماهر: «البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية»: ص ٧٣، ٧٤.

بعد فتحها بأربع سنوات فقط، مما يدل على إصرار البيزنطيين على استردادها.

ففي سنة ٢٥هـ/ ٦٤٥م هاجم أسطول بيزنطي ضخم مدينة الإسكندرية، واستطاع أن يستولي عليها بمساعدة من بقي فيها من الروم الذين أبقاهم المسلمون، ومنحوهم الحرية والأمان، ولكنهم لم يحفظوا هذا كله، بل غدروا وتعاونوا مع الأسطول البيزنطي، وسهلوا له الاستيلاء على الإسكندرية، ولم يقنع قائد الأسطول البيزنطي مانويل بالاستيلاء على الإسكندرية، بل سار بقواته جنوبًا إلى حصن بابليون؛ لاستعادة مصر كلها، الأمر الذي جعل الخليفة عثمان بن عفان يعهد إلى عمرو بن العاص –فاتح مصر، الذي كان قد طلب إعفاءه من ولايتها– بمهمة طرد الروم منها ثانية.

ولم يتردد القائد الكبير والفاتح العظيم في القيام بواجبه، وقد نجح في طرد الروم من مصر كلها مرة أخرى وإلى الأبد[١].

هذه الحادثة قوت عزيمة المسلمين، وأقنعتهم بضرورة الإسراع في بناء قوتهم البحرية الذاتية، وأكدت أن معاوية بن أبي سفيان كان على حق، وكان رجلًا بعيد النظر حين فكر في بناء الأساطيل البحرية الإسلامية، وأصرَّ على تنفيذ مشروعه مهما كانت العقبات والمعارضات.

كانت الإسكندرية إذًا من أوائل الموانئ المصرية التي أحيا فيها العرب الفاتحون صناعة بناء السفن، ولم تصبح مركزًا من أهم مراكز صناعة السفن الحربية فحسب، بل

---

(١) ابن عبد الحكم: «فتوح مصر»: ص١١٧، ١١٨. وتذكر المراجع أن مانويل قائد الأسطول قد قُتل في هذه المعارك. ينظر: (Harris P: 80، Janathan: The lost world of Byzantium). (المراجع)

أصبحت قاعدة لانطلاق الأساطيل المصرية في العصر الإسلامي لغزو بلاد الروم نفسها، ولم تكن تمد الأسطول المصري وحده بالسفن اللازمة، بل كانت تُبْنَى فيها السفن اللازمة للأسطول الشامي، بناء على طلب معاوية بن أبي سفيان[(١)] الذي أصبح خليفة منذ سنة ٤١هـ/ ٦٦٠م، وأصبح صاحب القرار، وليس في حاجة إلى استئذان أحد، ومن هنا كانت انطلاقة المسلمين البحرية.

ويتضح من أوراق البردي العربية -التي اكتشفت بالصدفة في كوم شقاو[(٢)] (أفروديتو)- أن الإسكندرية أصبحت مركزًا مهمًّا لصناعة السفن بعد الفتح الإسلامي بسنوات قلائل، وأن الأساطيل كانت تخرج منها للغزو، ففي

---

(١) «تاريخ البحرية المصرية»: ص ٣٤٢.

(٢) أشقاو أو شقاو: قرية تابعة لمركز طما، محافظة سوهاج. د. أحمد عبد العال: «الدليل العصري للمكان المصري»: ص ١٦٩. (المراجع)

إحدى البرديات يطلب والي مصر قرة بن شريك[1] (٩٠- ٩٦هـ/ ٧٠٨- ٧١٤م) من باسيليوس حاكم كوم شقاو إرسال الزبد من أجل المقاتلين بالأسطول الهجومي المصري إلى تيودور الجطال الذي كان يقود الأسطول في الإسكندرية[2]، وكان مسيحيًّا على ما هو ظاهر من اسمه.

---

(١) قرة بن شريك بن مرثد بن حرام بن الحارث بن حبيش بن سفيان. ولَّاه الوليد ابن عبد الملك مصر. ابن عساكر: «تاريخ دمشق»: ٤٩/ ٣٠٥. (المراجع)

(٢) وجدت هذه الرسالة ضمن مجموعة البردي التي اكتشفت في كوم أشقاو، وهي مجموعة برديات بلغات ثلاث (العربية- اليونانية- القبطية)، ومعظم هذه البرديات محفوظ في المتحف البريطاني بلندن ومتحف المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو، وتحتفظ دار الكتب المصرية بمجموعة منها، وقد نشر المتحف البريطاني هذه البرديات بعد ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية. ينظر نص رسالة قرة بن شريك إلى باسيليوس في: (Bell، H. I: Greek papyri in the British Museum، vol. 1v، p.p 27-28) بردية رقم (١٣٥٣). (المراجع)

وتحتوي بردية أخرى على طلب عاجل، يطلب فيه الوالي ملاحين وعمالًا مهرة للعمل في أسطول الإسكندرية.

إضافة إلى المعلومات الوفيرة التي زودتنا بها برديات كوم شقاو عن دار صناعة السفن بالإسكندرية، فإننا نجد حشدًا من المعلومات عن الموضوع نفسه في كتب الجغرافيين والمؤرخين والرحالة المسلمين، فقد تحدث هؤلاء بإطناب -أحيانًا- عن الإسكندرية ودار صناعتها، ومكانتها الكبيرة في نشاط الأساطيل الإسلامية، وتزويدها بكل ما تحتاج.

كما تحدثوا عن منارتها -إحدى عجائب الدنيا- التي كانت موجودة عند الفتح الإسلامي، واستمرت بعده تؤدى رسالتها في خدمة الأغراض البحرية، كما وصفوا مرآتها التي كانت تعلوها، وقالوا: إنها كانت تستخدم في رؤية العدو من

بعد، إذا قدم من بلاد الروم، وفي خطط المقريزي[1] كثير من هذه المعلومات. وقد ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو - الذي زار الإسكندرية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر فيما بين سنتي (٤٣٩-٤٤٢هـ/١٠٤٧-١٠٥٠م)- أن منارة الإسكندرية كانت موجودة تؤدي رسالتها عند زيارته للإسكندرية ومن قوله في ذلك الشأن: « وفي الإسكندرية منارة كانت قائمة وأنا هناك، وقد كان فوقها مرآة محرقة، فلما جاءت سفينة رومية من القسطنطينية أصابتها نار من هذه الحراقة[2] فأحرقتها»[3].

---

(١) ١/ ٥١، وما بعدها.

(٢) الحرَّاقة: بالفتح والتشديد ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها العدو في البحر. الرزاي: «مختار الصحاح»: ص ٧٠. (المراجع)

(٣) نقلًا عن «تاريخ البحرية المصرية»: ص ٣٤٢، ٣٤٣.

وتتجلى أهمية قاعدة الإسكندرية في أن لها ميناءين عظيمين، يتسع كل منهما لعدد كبير من السفن، فضلًا عن هدوء المياه في هذين الميناءين؛ بسبب وقوع جزيرة تدعى جزيرة فاروس شمالي الإسكندرية، وتمتد إلى حوالي ثلاثة أميال، بحيث تقلل من تلاطم أمواج البحر على الشاطئ، وقد اتصلت تلك الجزيرة بمدينة الإسكندرية منذ نشأتها بجسر عظيم أتاح لها مرسًى آمنًا للسفن حين تعصف الأنواء بمياه البحر[1].

ومنذ أتم العرب فتح مصر أصبحت الإسكندرية موضع التحامهم، وأقاموا فيها أكبر قاعدة بحرية على الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط.

---

(١) د. إبراهيم العدوي: «الأساطيل العربية»: ص١٣٥.



دور صناعة السفن في رشيد ودمياط وتنيس

رشيد: مدينة مصرية قديمة تقع على مصب النيل الغربي، وهو الفرع المعروف باسمها؛ فرع رشيد الذي يلتقي فيه النيل بالبحر الأبيض المتوسط، وعن طريقه تصل السفن القادمة من البحر إلى النيل والعكس، وبعد الفتح الإسلامي لمصر أصبحت رشيد أحد المراكز البحرية المهمة، وكان يديرها موظف مسيحي، كما كان الحال في الإسكندرية.

وتمدنا أوراق البردي العربية بمعلومات وفيرة عن دار صناعة السفن في رشيد، وعن دورها في الجهاد البحري، وتشير إحدى البرديات إلى الإمدادات المطلوبة للمقاتلين

على السفن، وتوضح أثمان السلع المرسلة إلى حاكمها المسيحي بافنتوثيوس PAPHNTUTHIUS[١].

أما **دمياط**: فتقع على مصب الفرع الشرقي للنيل والمنسوب إليها، وأوراق البردي حافلة بالمعلومات عن دار صناعة السفن فيها في العصر الإسلامي، وتشير إحدى تلك البرديات إلى كمية الإمدادات والمواد التموينية من الدقيق والخبز والبقول والزيت والخل والملح اللازمة لعشرين بحارًا من العاملين بالأسطول الهجومي للشرق المرابط في دمياط[٢].

---

(١) «تاريخ البحرية المصرية»: ص ٣٤٤.

(٢) المرجع السابق: ص ٣٤٤.

وقد اهتم الخلفاء المسلمون بدمياط ودار صناعتها اهتمامًا كبيرًا، وأولوها عناية فائقة؛ لأنها كانت معرضة دائمًا لهجمات الأساطيل البيزنطية.

يقول المقريزي عن دمياط: «إنها ظلت بيد المسلمين منذ الفتح الأول على يد عمرو بن العاص إلى أن نزل عليها الروم سنة تسعين من الهجرة، فأسروا خالد بن كيسان، وكان على البحر -أي قائد الأسطول هناك- وسيروه إلى ملك الروم، فأنفذه إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك من أجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم، فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٣-٧٤٢م) نزل الروم دمياط في ثلاثمائة وستين مركبًا، فقتلوا وسبوا، وذلك في سنة إحدى وعشرين ومائة»[1].

(١) «الخطط»: ١/ ٢١٤.

ثم يوالي المقريزي حديثه، فيقول:« وكانت الفتنة بين الأخوين؛ محمد الأمين وعبد الله المأمون[1]، وكانت الفتن

---

(١) محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد، الأمين بن الرشيد. بويع له بالخلافة بعد أبيه الرشيد عام ١٩٣هـ، قُتل عام ١٩٨هـ. ابن عساكر: «تاريخ دمشق»: ٢١٣/٥٦، السيوطي: «تاريخ الخلفاء»: ص ٢١٦.

عبد الله بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد، المأمون بن الرشيد. تولي الخلافة عام ١٩٨هـ، وتوفي عام ٢١٨هـ. ابن عساكر: «تاريخ دمشق»: ٢٧٥/٢٣، السيوطي: «تاريخ الخلفاء»: ص ٢٢٥.

وقد كان هارون الرشيد سببًا في هذا الصراع؛ ففي عام ١٧٥هـ/٧١٩م أعطى ولاية العهد من بعده لابنه محمد الأمين وجعله واليًا على الجزء الغربي من الدولة الإسلامية، وبعدها بثماني سنوات جعل لابنه المأمون ولاية العهد بعد أخيه، وجعله واليًا على خراسان والمشرق الإسلامي كله، وفي عام ١٨٦هـ/٨٠٣م جعل ولاية العهد من بعدهما لابنه القاسم، وجعله واليًا على الجزيرة. وهكذا وقع الرشيد في خطأ أسلافه؛ لخشيته على ضياع الحكم من بعده، فما فعله من ولايته للعهد بهذه الطريقة، كان ذلك سببًا في تجزئة الدولة، كما كان خطرًا يهدد وحدة الدولة وسلامة أراضيها، وبالفعل حدث ما كان متوقعًا، فبعد وفاة الرشيد عام ١٩٣هـ/٨٠٨م بدأ يدب الصراع بين الأخوين، ووقع صراع مرير انتهى بمقتل الأمين عام ١٩٨هـ. ابن عساكر:=



بأرض مصر، فطمع الروم في البلاد، ونزلوا دمياط في أعوام بضع ومائتين، ثم لما كانت خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ/٨٤٦-٨٦١م)، وأمير مصر يومئذ عنبسة بن إسحاق[١]، نزل الروم دمياط يوم عرفة سنة ثمان وثلاثين ومائتين، وسبوا النساء والأطفال وأهل الذمة، فنفر إليهم عنبسة بن إسحاق يوم النحر في جيشه، ونفر كثير من الناس إليهم، فلم يدركوهم، ومضى الروم إلى تنيس، فأمر المتوكل ببناء حصن دمياط.

ثم يوالي المقريزي حديثه عن هجمات الروم المتوالية في السنوات التالية مما جعل ولاة الأمر، سواء

=«تاريخ دمشق»: ٢٢٨/٥٦، وما بعدها، ابن كثير: «البداية والنهاية»: ٢٤٢/١٠، وما بعدها. (المراجع)

(١) عنبسة بن إسحاق بن شمر الضبي البصري، تولى الديار المصرية للمتوكل عشرة أعوام، وبقي عليها إلى سنة ٢٤٢هـ. الذهبي: «تاريخ الإسلام»: ١٢٠٠/٢. (المراجع)

الخلفاء العباسيون وولاة مصر في عهودهم -أو حتى حكام مصر في عهود الاستقلال؛ مثل الطولونيين والإخشيديين- يولون الاهتمام بدمياط وتحصينها، يقول المقريزي: «وكان بدمياط دار لصناعة السفن يديرها أهل الخبرة في هذا الفن»[١].

أما تنيس: فيقول عنها ياقوت الحموي: «جزيرة في بحر مصر، قريبة من البر، ما بين الفرما ودمياط، والفرما في شرقيها»[٢]، ويقول: «إنها كانت أجمل من دمياط ... ولما فُتحت مصر في سنة عشرين من الهجرة كانت تنيس حينئذ

---

(١) «الخطط»:١/٢١٤. ويؤكد ذلك أيضًا ابن مماتي (٦٠٦هـ) حيث يقول في معرض حديثه عن صناعة العماير: «فيها هذه المراكب المذكورة، وهي ثلاثة: بمصر والإسكندرية ودمياط، ولكل واحد مستخدمون يستدعون ما يحتاج إليه» ينظر: «كتاب قوانين الدواوين»: ص٣٤٠. (المراجع)

(٢) «معجم البلدان»: ٢/٥١ وما بعدها.

خصاصًا من القصب، وكان بها الروم، وقاتلوا أصحاب عمرو بن العاص، وقتل بها جماعة من المسلمين، وقبورهم معروفة بقبور الشهداء عند الرمل فوق مسجد غازي»[١].

وكان بتنيس ميناء يسمى (أشتوم)، يستقبل السفن القادمة من سوريا والمغرب، ويذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو أن ألف سفينة كانت ترسو هناك. ويذكر ابن حوقل أنها كانت من أهم الجزر التي اعتمدت كلية على السفن في اتصالاتها، وقد دهش لبراعة الملاحة البحرية فيها[٢].

(١) المصدر السابق: ٢/ ٥١، ٥٢. (بتصرف)

(٢) نقلًا عن «تاريخ البحرية المصرية»: ص ٣٤٦.

دار صناعة السفن بالقلزم (السويس)

كانت القلزم التي تقع على الطرف الشمالي للبحر الأحمر دارًا لصناعة السفن منذ العصر الفرعوني، واستمرت تؤدي هذا الدور بعد الفتح الإسلامي، بل ازدادت أهميتها؛ نظرًا لأنها تمثل حلقة وصل بين البحر الأبيض المتوسط والبحار الشرقية، خصوصًا بعد أن أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بحفر الخليج الذي نسب إليه؛ لربط النيل بالبحر الأحمر لتسهيل حركة السفر والتجارة بين مصر والمدينة المنورة عاصمة الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت[١].

وقد ازدهرت صناعة السفن الحربية في القلزم (السويس) بعد الفتح الإسلامي، وأيضًا هنا تمدنا أوراق البردي العربية بمعلومات وفيرة عن ازدهار دار صناعتها،

(١) ابن عبد الحكم: «فتوح مصر»: ص ١١٢.

وذلك من خلال المراسلات التي دارت بين أمير مصر قرة بن شريك (٩٠-٩٦هـ/٧٠٨-٧١٤م) وحاكم إقليم كوم شقاو، وهو مسيحي يسمى (باسل) أو (باسيليوس) في هذه المراسلات التي سجلتها مجموعة أوراق بردي كوم شقاو يطلب الأمير من حاكم الإقليم توفير العمال المهرة للعمل في بناء السفن في ميناء القلزم، وكذلك يطلب منه الأموال المفروضة على ذلك الإقليم لتحقيق نفس الغرض، وهكذا يتضح من الإشارات العديدة التي وردت في تلك البرديات أن القلزم كانت مركزًا بحريًّا مهمًّا تحت إدارة موظف عربي يدعى محمد بن أبي جليلة، وبعض البرديات تحتوي على قوائم بالأشياء المطلوبة من إقليم كوم شقاو؛ من نقود وبحارة لسفن الأسطول بالقلزم[1].

---

(١) تراجع هذه المراسلات في (Bell: op. cit.). (المراجع)

دار صناعة السفن بجزيرة الروضة

تقع جزيرة الروضة في وسط النيل، غربي حصن بابليون، وأحيانًا يطلق عليها (الجزيرة) فقط؛ لشهرتها إذا سمع المستمع اسم الجزيرة عرف أنها هي، وأحيانًا كانت تضاف إلى مصر؛ فيقال: جزيرة مصر، وهي تعد من أشهر دور صناعة السفن في مصر، وتذكر مصادر التاريخ[1] أن دار صناعتها أنشئت في عهد والي مصر مسلمة بن مخلد الأنصاري[2] (٤٧- ٦٢هـ/٦٦٧-٦٨١م) من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

---

(١) «تاريخ البحرية المصرية»: ص ٣٤٦.

(٢) مسلمة بن مخلد بن الصامت بن نيار الأنصاري الخزرجي، وكان مولده حين قدم النبي ﷺ المدينة مهاجرًا، واستعمله معاوية على مصر والمغرب. توفي في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان. ابن سعد: «الطبقات الكبرى»: ٧/ ٣٤٨، ابن الأثير: «أسد الغابة»: ٥/ ١٦٨. (المراجع)

وقد بدأ العمل في دار صناعتها سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م[١] أي في السنة التالية لإغارة قام بها الروم على مدينة البرلس، وإنشاء دار لصناعة السفن في جزيرة الروضة بالإضافة إلى الدور التي سبق الحديث عنها في الإسكندرية ورشيد ودمياط وتنيس والقلزم يدل على الحاجة إلى مزيد من السفن اللازمة للأسطول البحري الإسلامي، وبصفة خاصة في مصر؛ لأن ذلك التاريخ واكب بعث حركة الفتوحات في شمال إفريقيا، وهي مناطق ساحلية وحاجتها إلى سفن لنقل الخيول والمعدات حاجة ماسة، وكذلك لحماية تلك الشواطئ من هجمات الروم، وكان إنتاج دار صناعة السفن بالجزيرة ذا أهمية كبيرة؛ لأنها كانت تنتج أنواعًا كبيرة، مثل الشواني، ولم تكن جزيرة الروضة مجرد دار لصناعة السفن، وإنما كانت

---

(١) د. سعاد ماهر: «البحرية في مصر الإسلامية»: ص ٣١٣.

قاعدة بحرية عسكرية، أي فيها قوات بحرية مستعدة للقتال إذا دعا داعي الجهاد، ويصف المقريزي اهتمام الأمراء بأمر دار صناعة جزيرة الروضة، والقوات المرابطة فيها، فيقول:«وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر، وانتدب الأمراء له [أي: للأسطول] الرماة، فاجتهد الناس بمصر في تعليم أولادهم الرماية، وجميع أنواع المحاربة، وانتخب له القادة العارفون بمحاربة العدو، وكان لا ينزل في رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب، هذا وللناس إذ ذاك رغبة في جهاد أعداء الله وإقامة دينه، لا جرم أن كان لخدام الأسطول حرمة ومكانة، ولكل واحد من الناس رغبة في أن يعد من جملتهم، فيسعى بالوسائل حتى يستقر فيه،

وكان من غزو الأسطول بلاد العدو ما قد شحنت به كتب التاريخ»[١].

وتمدنا برديات كوم شقاو بمعلومات إضافية عن طلب والي مصر قرة بن شريك من حاكم كوم شقاو إمداد دار الصناعة بالجزيرة بالعمال المهرة في صناعة السفن، فتشير إحدى البرديات إلى أوامر بتصنيع مسامير وطلب حدادين ونجارين وقلافين[٢]؛ لإصلاح وبناء وتنظيف السفن، وتشير بردية أخرى إلى طلب أخشاب وسلاسل نحاسية وحبال ووسائد ووبر–شعر– وأقمشة مطلوبة من أجل بناء السفن، كل هذا يدل على اتساع نطاق العمل في جزيرة الروضة، فهي دار لصناعة السفن وصيانتها، وهي ثكنات عسكرية

---

(١) «الخطط»: ٢/ ١٩١.

(٢) القلاف: هو الذي يخيط ألواح السفن باللِّيف، ويسد ثقوبها بالقار. ينظر: «تاج العروس» (مادة: قلف).

بحرية مقاتلة، كما أنها كانت قلعة قوية؛ لوجود حصن بابليون شرقيها، وكانت تقوم بحماية الملاحة النهرية في النيل[١].

هذه المعلومات المهمة التي أمدتنا بها برديات كوم شقاو، التي اكتشفت بالصدفة، وحديثها كله عن إقليم كوم شقاو وحده الذي يبدو أنه كان من الأقاليم المشهورة في كل ما يتعلق بصناعة السفن، من بحارة وعمال مهرة، وأدوات صناعة من الأخشاب إلى المسامير والحبال ... إلخ.

ولم يكن هو الإقليم الوحيد بطبيعة الحال، لكن حظه كان أحسن من غيره؛ لاكتشاف بردياته التي ألقت الضوء على

---

(١) «تاريخ البحرية المصرية»: ص ٣٤٩.

استمرت هذه الصناعة بالجزيرة إلى أيام محمد بن طغج الإخشيد الذي أمر سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م) بنقلها من الجزيرة إلى ساحل مصر بالفسطاط. ينظر: عاصم محمد رزق: «مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ١٧»: ص ٨١. (المراجع)

ما كان يقدمه لصناعة السفن، وربما تكشف لنا الأيام عن أوراق بردي أخرى في أماكن أخرى تلقي الضوء على مناطق عديدة غير كوم شقاو كانت تمد الأساطيل بحاجتها من العمال المهرة وأدوات الصناعة، فتعدد الأساطيل، وتعدد دور الصناعة وتباعدها يقتضي الكثير من المراكز التي تمدها بحاجياتها من العمال والأدوات.

وقبل أن ينتهي القرن الهجري الأول كان المسلمون قد امتلكوا ثلاثة أساطيل بحرية كبرى، والأسطول المصري أكبرها وأكثرها أهمية، كما كان أمير البحرية المصرية هو القائد العام لجميع هذه الأساطيل[١]، وكثيرًا ما اشترك الأسطولان الشامي والمصري في عمليات عسكرية واحدة، كما حدث في غزو جزيرة قبرص سنة ٢٨هـ/٦٤٨م.

---

(١) د. سعاد ماهر: «البحرية في مصر الإسلامية»: ص٨٧.



وفي غزوة ذات الصواري الشهيرة سنة ٣٤هـ/٦٥٤م، وكان قائدها العام -الذي قاد القوات المشتركة من الأسطولين الشامي والمصري- هو أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح[1]، وعلاوة على هذه الأساطيل الثلاثة الكبرى كانت هناك قوة بحرية أصغر حجمًا في البحر الأحمر لحراسته، وكانت تحت قيادة الأسطول المصري، والجهد الأكبر والفضل الأول في بناء كل تلك الأساطيل يرجع إلى أهل مصر.

---

(١) د. إبراهيم العدوي: «الأساطيل العربية»: ص ٣٩، د. حسين مؤنس: «تاريخ المسلمين في البحر المتوسط»: ص ٦٠، ٦١.

المصريون يبنون أساطيل الشام

ذكرنا من قبل أن أول من أدرك حاجة المسلمين إلى امتلاك قوة بحرية لحماية شواطئ المسلمين في الشام ومصر؛ للارتباط الأمني الوثيق بين الإقليمين، ودعا إلى ذلك بقوة وإصرار هو أمير الشام معاوية بن أبي سفيان الذي فكَّرَ في إنشاء أسطول إسلامي، غير أن دعوته اصطدمت بمعارضة قوية ممن بيده القرار، وهو الخليفة عمر بن الخطاب، ولكن على الرغم من ذلك فإن معاوية لم ييأس، بل انتظر إلى أن لقي عمر بن الخطاب ربه، ففاتح الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي عارض هو بدوره متأثرًا بمعارضة عمر بن الخطاب، إلا أن معاوية نجح في النهاية في إقناعه، وظفر بموافقته، وبدأ على الفور في إنشاء قوة بحرية هائلة ظهر أثرها واضحًا بعد سنوات قلائل من البداية في

غزوة جزيرة قبرص والاستيلاء عليها، وفي الانتصار العظيم على أساطيل الروم في أول وأكبر معركة بحرية دارت بينهم وبين المسلمين على شواطئ مصر الغربية، وهي معركة ذات الصواري التي غيرت تاريخ البحر المتوسط، وجعلته بحر المسلمين -بعد أن كان يطلق عليه: بحر الروم- وكان قائد المعركة هو أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح كما مر ذكره.

ومعاوية عندما نهض بهذا المشروع العظيم، الذي يرجع الفضل إليه وحده في قيامه كان يعوِّل في المقام الأول على أهل مصر، وعلى دور صناعة السفن في مصر، ولم يجد أية صعوبة في تعاون المصريين معه؛ لأن الشام ومصر كانتا ولايتين من ولايات الدولة الإسلامية الواحدة من ناحية، ومن ناحية ثانية فقد كان التفاهم على أفضل ما يكون بينه

وبين والي مصر عبد الله بن سعد أبي السرح، وكان كلا الرجلين يدرك تمام الإدارك أهمية الارتباط الأمنى الوثيق بين الشام ومصر.

ولم يقتصر دور المصريين على إمداد الأسطول الشامي بالسفن التي يحتاجها، والتي يتم تصنيعها على أرض مصر، وفي دور صناعتها، بل إن العمال المهرة المصريين ذهبوا إلي هناك إلى الموانئ الشامية التي أنشأها معاوية الذي أصبح أمير المؤمنين، والقرار بيده وحده، فقد أمر بإنشاء دار صناعة في عكا على إثْر غارة بيزنطية ضخمة على شواطئ الشام سنة ٤٩هـ/٦٦٩م.

وتدل أوراق البردي المصرية، على أن العمال المصريين قد أسهموا إسهامًا كبيرًا في بناء السفن في ميناء عكا، وكانوا أيضًا من إقليم كوم شقاو[١] الذي مر ذكره كثيرًا.

ولقد توسع معاوية كثيرًا في صناعة السفن في الموانئ السورية، مثل صور وصيدا واللاذقية وطرطوس، اعتمادًا على الأيدي المصرية العاملة في هذا الميدان؛ لأنه كان يفكر في مشروع كبير يحتاج إلى أعداد هائلة من السفن الحربية ذات الأحجام المختلفة، ذلك المشروع الذي كان معاوية يفكر فيه هو غزو مدينة القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، العدو الأول والأكبر والأخطر للمسلمين في ذلك الوقت، فقد كان معاوية يريد الاستيلاء على هذه المدينة العتيدة، وكان على قناعة تامة أنه إذا استطاع الاستيلاء عليها

---

(١) «تاريخ البحرية المصرية»: ص ٣٥٧.

فإن الدولة البيزنطية نفسها سوف تسقط وتنتهي؛ لأن العواصم للدول بمثابة مركز الأعصاب للإنسان، ولقد كان متأثرًا في ذلك بما حدث للدولة الفارسية؛ فعندما نجح المسلمون في الاستيلاء على عاصمتها المدائن، انهارت مقاومة الفرس بعدها، وفتح المسلمون كل بلادها، وزالت الدولة الفارسية العتيدة التي كانت تنافس الروم في زعامة العالم يومئذ، ولم يعد لها وجود؛ لذلك كرس معاوية جهوده وحشد أساطيله، وغزا عاصمة القياصرة أكثر من مرة في عهد خلافته؛ مرة سنة (٤٩-٥٠هـ/٦٦٩-٦٧٠م)، ومرة أخرى استمر غزوه وحصاره لها نحو سبع سنوات[1] (٥٤-٦٠هـ/٦٧٤-٦٨٠م)، وقد اشترك الأسطول المصري مع الأسطول الشامي في هذا الغزو بعدد هائل من المراكب،

---

(١) «تاريخ الطبري»: ٥/٢٣٢، ٢٩٣.

نحو ثلاثمائة مركب من المراكب الكبيرة، المزودة بآلات القذف التي تتكون من المجانيق وآلات رمي الحجارة[١].

وهكذا أدى التعاون الوثيق بين مصر والشام في ميدان بناء الأساطيل البحرية إلى بروز قوة بحرية، لم تنجح في حماية شواطئهما من هجمات الروم فحسْب، بل أصبحت خطرًا على عاصمتهم -القسطنطينية- نفسها، وإذا كان معاوية لم ينجح في فتح القسطنطينية لأسباب كثيرة يطول شرحها، فإنه قد نجح في جعل الدولة البيزنطية العتيدة تقف موقف الدفاع عن كيانها وعن عاصمتها، كما أن نظرية معاوية كانت سليمة تمامًا، فإن ما قدره وجعله هدفه قد تحقق بعده بنحو ثمانية قرون، فعندما نجح السلطان العثمانى محمد الفاتح في فتح القسطنطينية والاستيلاء عليها سنة

(١) د. سعاد ماهر: «البحرية في مصر الإسلامية»: ص٧٥.

٨٧٥هـ/١٤٥٣م سقطت الدولة البيزنطية على الفور، وانتهت من الوجود، وأصبحت عاصمة القياصرة عاصمة للدولة العثمانية[١].

(١) للتفاصيل عن فتح القسطنطينية ينظر: برناردين كلتي: «فتح القسطنطينية»: ص ١٢٥، وما بعدها. (المراجع)



تأخر فتح المغرب وأخذ وقتًا طويلًا، حيث استغرق نحو سبعين عامًا من الزمان، وذلك لأسباب كثيرة[١] منها: انشغال الدولة الإسلامية بالفتن والحروب الأهلية أثناء الفتنة

---

(١) من أهم الأسباب كذلك أن سكان المغرب العربي -الذين يشيع إطلاق كلمة البربر عليهم، وهي تسمية لا يرتاحون إليها؛ لأن الرومان هم الذين أطلقوها عليهم، ويرتاحون إلى تسميتهم بالأمازيغ، أي: الأحرار بلغتهم- هؤلاء الأمازيغ لديهم عزة وأنفة واعتزاز بكرامتهم لا تقل عما لدى العرب، وعندما طرق العرب بلادهم فاتحين لم يفهموا في البداية ماذا يريد منهم هؤلاء العرب، وظنوهم متسعمرين جدًا يريدون الاستيلاء على بلادهم، فقاوموهم بضراوة شديدة، والمتاعب التي صادفها العرب في شمال إفريقيا لم يصادفوا مثلها في أي مكان آخر، غير أن هؤلاء الأمازيغ عندما بدءوا يفهمون الإسلام وأهدافه، وما يحمله لهم من خير وعدل وتسامح ومساواة سارعوا لا إلى الإيمان به فحسب، بل إلى أن يكونوا مجاهدين في سبيله، فمن المعروف أن الجيوش التي فتحت الأندلس كانت الغالبية العظمى منها من هؤلاء الأمازيغ، سكان الشمال الإفريقي.

الأولى التي اندلعت بين المسلمين أثناء خلافة عثمان بن عفان نحو سنة٣٠هـ، والتي تفاقمت وراح ضحيتها الخليفة نفسه[١]، ثم استمرت لتستغرق كل عهد علي بن أبي طالب ٣٦-٤٠هـ، الذي خاض مع خصومه معركتين مشئومتين؛ الجمل سنة ٣٦هـ، وصفين سنة ٣٧هـ، راح ضحيتهما عشرات الآلاف من المسلمين، وفي النهاية فقد الخليفة عليٌّ

---

(١) فتنة حدثت في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أدت إلى مقتله عام ٣٥هـ؛ حيث خرج عليه مجموعة من الخارجين من بعض الولايات الإسلامية، مرددين ادعاءات باطلة على أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كتولية أقاربه، وضربه كبارَ الصحابة، وحرقه المصحفَ، وغيرها من الادعاءات التي كانت محض افتراء عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما كان لهذه الفتنة أثر كبير في مسار التاريخ الإسلامي؛ فبسبب هذه الفتنة انشغل المسلمون لأول مرة عن الفتوحات بقتال بعضهم، وبروز النزاعات المذهبية؛ بظهور عدد من الفرق التي استغلت الوضع السياسي المتوتر لوضع الفرقة بين أبناء الأمة الإسلامية. عبد الشافي محمد عبد اللطيف: «العالم الإسلامي في العصر الأموي»: ص ٣٥. (المراجع)

نفسه حياته على يد أحد متطرفي الخوارج: عبدالرحمن بن ملجم، ولما اجتمع شمل الأمة على خليفة واحد؛ هو معاوية ابن أبي سفيان سنة ٤١هـ -السنة التي سماها المؤرخون عام الجماعة- وبعد أن تمكن معاوية من الأمر بدأ يستأنف الفتوحات في شمال إفريقيا خاصة؛ للقضاء على الوجود البيزنطي فيه قضاءً تامًّا، وقد حقق بعض النجاح في ذلك، خصوصًا عندما عهد بقيادة الفتوحات في هذه الجبهة لقائد من كبار القادة الفاتحين؛ عقبة بن نافع[1] الذي أسس مدينة القيروان[2] (٥٠-٥٥هـ) لتكون قاعدة ثابتة للمجاهدين

---

(١) عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر الفهري، يقال: له صحبة، والأظهر أنه لا صحبة له، شهد فتح مصر، وتولى إمارة المغرب، واستشهد بإفريقية سنة ٦٣هـ. ابن عساكر: «تاريخ دمشق»: ٤١/ ٥٢٥-٥٢٧. (المراجع)

(٢) القيروان: مدينة بناها عقبة بن نافع زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في إفريقية وهي تتبع حاليًّا دولة تونس. ياقوت الحموي: «معجم البلدان»: =

ينطلقون منها، ثم يعودون إليها؛ لأنه رأى أن خطوط إمداداتهم من مصر كانت طويلة.

وتوالى على المنطقة عدد من القادة العظام بعد عقبة، مثل أبي المهاجر دينار[١] (٥٥-٦٢هـ)، ثم عقبة ثانية (٦٢-٦٣هـ)، ثم زهير بن قيس البلوي[٢] (٦٣-٦٩هـ)، وفي هذه الأثناء داهمت المسلمين الفتنة الثانية التي اندلعت بعد موت الخليفة يزيد بن معاوية سنة ٦٤هـ، والتي استمرت نحو عشر سنين، ولم تنته إلا بقضاء عبد الملك بن مروان على أكبر

=٤/ ٤٢٠. (المراجع)

(١) أبو المهاجر دينار بن عبد الله النهوذي الزابي. تولى المغرب لمعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولابنه يزيد، قُتل سنة ٦٣هـ مع عقبة بن نافع. السمعاني: «الأنساب»: ١٣/ ٢٢٨. (المراجع)

(٢) زهير بن قيس أبو شداد البلوي. قيل: إن له صحبة، شهد فتح مصر، وسكن بها، قتلته الروم ببرقة في سنة ٧٦هـ. ابن عساكر: «تاريخ دمشق»: ١٩/ ١١٢-١١٤. (المراجع)

وأخطر خصومه السياسيين؛ عبد الله بن الزبير سنه ٧٣هـ، وأعاد عبد الملك الوحدة إلى الدولة الإسلامية، وسمى المؤرخون هذا العام بعام الجماعة الثاني.

عندئذ بدأ عبد الملك في إعادة الحياة إلى حركة الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا، وعهد بالأمر إلى قائد عظيم، من سلالة الغساسنة وهو حسان بن النعمان[١]، الذي لقب بالشيخ الأمين[٢]، وقد استطاع حسان فتح معظم الشمال الإفريقي في نحو عشر سنوات(٧٤- ٨٥هـ/ ٦٩٣- ٧٠٤م)، وعمل على تنظيم البلد ووضع الأسس الإدارية لها،

---

(١) حسان بن النعمان ويقال: إنه ابن المنذر الغساني. حدث عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، كان أحد قادة الفتح الإسلامي في بلاد المغرب في عهد عبد الملك بن مروان. توفي بأرض الروم عام ٨٠هـ. ابن عساكر: «تاريخ دمشق»: ١٢/ ٤٥٠-٤٥٢. (المراجع)

(٢) ابن الأثير: «الكامل في التاريخ»: ٤/ ٣٦٩.

وأسس مدينة جديدة، هي مدينة تونس، وأحس بحاجته إلى أسطول بحري مستقل يواجه به هجمات الأساطيل البيزنطية بدلًا من الاعتماد على الأساطيل المصرية المرابطة في قاعدتي برقة والإسكندرية؛ لطول المسافة.

ونحن نعرف أن برقة منذ فتحها عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/٦٤١م أصبحت هي القاعدة الحصينة التي تلجأ إليها القوات الإسلامية العاملة في شمال إفريقيا عند الضرورة، وكانت عندئذ تحت إدارة والي مصر، وظلت كذلك إلى قيام الدولة الفاطمية في تونس سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م، فكان من الطبيعي أن تكون قاعدة بحرية تعتمد اعتمادًا كليًّا على دور صناعة السفن في مصر؛ لأن كثيرًا من الغزوات التي انطلقت لغزو جزر البحر الأبيض المتوسط كانت تنطلق منها.

ثم رأى حسان بن النعمان إنشاء قاعدة بحرية خاصة بشمال إفريقيا، فأنشأ قاعدة تونس البحرية بعد أن دمر مدينة قرطاجنة التي كانت عاصمة شمال إفريقيا تحت الحكم البيزنطي، وطرد البيزنطيين نهائيًّا من كل الشمال الإفريقي.

ولقد كان الرجل بعيد النظر، ويتمتع برؤية إستراتيجية عظيمة، وإحساس بالمسئولية كبير، فقد أيقن أن الاحتفاظ بالانتصارات التي حققها على البيزنطيين والبربر معًا في المغربين الأدنى والأوسط –تونس والجزائر الآن– يتطلب إنشاء قاعدة بحرية حصينة، ودار صناعة للسفن ومستلزماتها، وأن الأوان قد حان ليعتمد شمال إفريقيا على قواعده وأساطيله الخاصة في الدفاع عن نفسه؛ لطول خطوط مواصلاته مع القواعد التي كان يعتمد عليها في الإسكندرية وبرقة.

ولعل حسان بن النعمان -وهو قائد ذو بصيرة عسكرية ورؤية سياسية واضحة- كان يستشرف المستقبل، ويرى بعين المؤمن وحدسه ما تم على يدي خليفته في قيادة الفتوحات في المغرب، القائد العظيم موسى بن نصير، وقائده الفذ العبقري طارق بن زياد[١]، ومن جاء بعدهما من فاتحي الأندلس، والجزر الغربية في البحر الأبيض المتوسط، وأن ذلك كله لن يتم إلا إذا كان للمسلمين قوة بحرية فعالة في غرب البحر الأبيض المتوسط، عندما فكر حسان بن النعمان في إقامة صرح عسكري بحري إسلامي للجناح الغربي من الدولة الإسلامية، كان يعلم أنه بدون الخبرات المصرية فلن تقوم لمشروعه قائمة، وكان على يقين

---

(١) طارق بن زياد ويقال: ابن عمرو الصدفي. قدم مع موسى بن نصير وافدًا على الوليد؛ فانتدبه قائدًا لفتح بلاد الأندلس عام ٩٠هـ. ابن عساكر: «تاريخ دمشق»: ٢٤/ ٤١٨-٤٢٠. (المراجع)

في الوقت نفسه من أن هذه الخبرات ستكون في متناول يده؛ لأن الهدف الذي يسعى لتحقيقه يهم الدولة الإسلامية التي كان يحكمها آنئذ خليفة من فحول الخلفاء وأفذاذهم على مدى التاريخ الإسلامي كله، وهو عبد الملك بن مروان، الذي لم يتردد في تلبية كل ما طلبه حسان بن النعمان لإقامة ترسانة بحرية عظيمة في تونس، ولإحساس حسان بأهمية الأمر فقد أرسل أربعين رجلًا من أشراف العرب إلى الخليفة يشرحون له حقائق الموقف، وأهمية المشروع الذي ينوي حسان القيام به، ومدى حاجته إلى المهندسين والعمال المصريين لبدء العمل.

وبعد أن سمع عبد الملك بن مروان من وفد حسان أصدر تعليماته على الفور إلى أخيه عبد العزيز بن مروان أمير مصر بأن يوجه دون إبطاء ألف رجل من المهندسين والبحارة



والعمال المهرة المصريين بأسرهم للعمل في دار الصناعة في تونس، وتحت إدارة أميرها حسان بن النعمان، وكانت تعليمات الخليفة لأخيه الأمير أن يوفر لكل هؤلاء كل ما يحتاجون إليه في عملهم وفي معاشهم وأن يُحسن عونهم، وهذا العدد -ألف رجل بأسرهم- هو أكبر عدد نقرأ أنه خرج من مصر إلى مثل هذا العمل في مكان آخر[1].

وكتب عبد الملك بن مروان إلى حسان بن النعمان بأن يحسن استقبالهم ومعاملتهم، وأن يوفر لهم الراحة الكافية؛ ليتفرغوا تفرغًا كاملًا لعملهم وإتقانة على أحسن وجه، وأن تكون دار الصناعة المزمع إقامتها قوةً وعدةً للمسلمين إلى آخر الدهر، وأن يصنع بها المراكب للجهاد

---

(١) «تاريخ البحرية المصرية»: ص ٣٦٥، د.إبراهيم العدوي: «الأساطيل العربية»: ص ١٤١، ١٤٢.

ضد الروم في البر والبحر؛ لإشغالهم عن مهاجمة القيروان وغيرها من شواطئ المسلمين.

وقد أحسن حسان بن النعمان استقبال المصريين، ووفر لهم كل ما يلزمهم لعملهم ومعاشهم، وبعد أن ترك حسان بن النعمان الميدان لغيره؛ ليواصل مسيرته في الإعمار وتنظيم البلاد، وتقوية دفاعاتها، واصل خلفاؤه رعايتهم وعنايتهم بدار الصناعة في تونس، وإمدادها بكل ما تحتاج من عمال وبحارة حتى أصبحت مركزًا بحريًّا مهمًّا على الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط، حمته من هجمات الأساطيل البيزنطية، وليس هذا فحسب، بل أصبحت قاعدة انطلقت منها الغزوات البحرية الإسلامية التي غزت معظم جزر البحر الأبيض المتوسط الغربي.

وكانت قمة الانتصارات فتح جزيرة صقلية بدءًا من سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، حيث انطلقت الأساطيل من تونس بقيادة المشهور أسد بن الفرات[1]، كل هذا لم يكن ممكنًا بدون أبناء مصر من المهندسين والعمال المهرة الذين بذلوا عملهم وخبرتهم بكل إخلاص في بناء الأساطيل الإسلامية في المشرق والمغرب.

والخلاصة:

إن العرب بعد أن أتموا فتح الشام تقدموا لفتح مصر، وكان ذلك ضرورة لتأمين فتوحاتهم ووجودهم في الشام، وأنهم عندما فتحوها لم ينتزعوها من أهلها، بل الحقيقة أنهم أعادوها إلى أهلها من قبضة الروم، وحرروهم من الظلم

---

(١) أسد بن الفرات، الفقيه أبو عبد الله القيرواني المغربي. أحد الكبار من أصحاب مالك، تولى قضاء إفريقية، توفي بصقلية عام٢١٣هـ. الذهبي: «تاريخ الإسلام»: ٥/ ٢٧٤. (المراجع)

والاستعباد، وكان المصريون الذين عاصروا الفتح يعلمون ذلك حق العلم، ولذلك كان تعاونهم مع الفاتحين وتقديم المساعدات لهم من أهم أسباب سرعة الفتح وسهولته، وإن تعاون المصريين مع العرب الفاتحين ضد الروم من الأمور التي أخبر بها النبي ﷺ ، عندما كان أمر فتح مصر في علم الغيب، فقد أخرج الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في دلائل النبوة[1]، بسند صحيح، عن أم سلمة، أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته، فقال: «الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانًا في سبيل الله».

وفي رواية أخرى: «استوصوا بالقبط خيرًا فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم».

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: ٢٣/ ٢٦٥، وقال الهيثمي في« مجمع الزوائد – الفكر»: ١٠/ ٤٧: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وعزاه السيوطي في «الخصائص الكبرى»: ٢/ ١٨٩ لأبي نعيم.

ولقد كان المسلمون عند حسن ظن المصريين بهم، فقد عاملوهم أكرم وأحسن معاملة، ومنحوهم حرية لم ينعموا بها من قبل، وبصفة خاصة حرية العقيدة، فلم يجبروهم على اعتناق الإسلام، ولو كان الإجبار على اعتناق الإسلام واردًا لما بقي مسيحي واحد على أرض مصر.

ويجب أن يعرف الناس أن الفتح الإسلامي شرف لكل أبناء مصر؛ لأن من أسلم منهم أسلم بحريته، ومن بقى مسيحيًّا بقي معززًا مكرمًا مصونة كل حقوقه.

ولم يتدخل المسلمون في شئون عقيدتهم قط، وقد أشرنا من قبل إلى عودة البطريرك بنيامين من منفاه إلى كرسي كنيسته بأمر الفاتح العظيم عمرو بن العاص، الذي أصبح صديقًا حميمًا لرأس الكنيسة المصرية، وكان يستشيره في كل شئون مصر المالية والإدارية.

كما قام العرب الفاتحون بحركة إعمار واسعة النطاق على كل أرض مصر؛ لتعمير ما خربته الحروب الكثيرة التي دارت بين الفرس والروم على أرض مصر، وما خربه الروم أنفسهم انتقامًا من أهل مصر المخالفين لهم في المذهب الديني حتى الكنائس والأديرة نالتها يد التعمير، كما أدرك المسلمون قيمة وصايا الرسول ﷺ بأهل مصر وشهادته لهم بأنهم خير أجناد الأرض؛ لأنهم هم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة، فاتخذوا في مصر جندًا كثيفًا، وجيشًا كبيرًا مرابطًا؛ دفاعًا عن أرض الإسلام في مشرقه ومغربه. ودفاعُ مصر عن الإسلام عقيدة وأرضًا وحضارة حقيقةٌ، لا ينكرها إلا جاحد أعمى التعصبُ بصرَه وبصيرته.

ولقد استثمر المسلمون كل إمكانات مصر وخبرة أهلها في بناء السفن وأقبل المصريون على العمل في العديد

من دور صناعة السفن التي سبق الحديث عنها في القلزم والإسكندرية ورشيد ودمياط وتنيس وجزيرة الروضة، كما لم يترددوا في العمل في موانئ الشام وموانئ المغرب بكل عزم وإخلاص؛ لحسن الرعاية وجميل المعاملة التي كانوا يلقونها من الأمراء المسلمين، وقد كان من المسيحيين أنفسهم قادة لبعض هذه القواعد العسكرية كما سبقت الإشارة.

وكانت النتيجة بروز بحرية إسلامية قوية غاية في القوة، وانتشرت الأساطيل البحرية الإسلامية في شرق وجنوب وغرب البحر الأبيض المتوسط، ولم تصبح الأساطيل الإسلامية ندًّا للأساطيل البيزنطية فحسب، بل تفوقت عليها وانتزعت منها السيادة على البحر الأبيض المتوسط، ويعد المؤرخون معركة ذات الصواري التي دارت

بين الأساطيل الإسلامية بقيادة أمير مصر عبد الله بن سعد بن أبي السرح على شواطئ مصر الغربية سنة ٣٤هـ/٦٥٥م، وبين الأساطيل البيزنطية بقيادة الإمبراطور قنسطانز الثاني، يعدون هذه المعركة فاصلة في التاريخ البحري في مطلع العصور الوسطى، فقد قررت مصير البحر الأبيض المتوسط لمصلحة المسلمين، ولعدة قرون قادمة(١)، فالنصر العظيم الذي حققه الأسطول الإسلامي الناشئ على الأساطيل البيزنطية العتيدة كان مفاجأة مذهله للإمبراطور البيزنطي، الذي لم يكن يساوره أي شك في انتصار أساطيله، ومن ثم العودة إلى استرداد مصر والشام من المسلمين، ولكن الهزيمة القاسية التي لحقت به جعلته يقلع نهائيًّا عن فكرة

---

(١) راجع عن هذه المعركة الفاصلة: «تاريخ البحرية المصرية»: ص٢٨٦ وما بعدها، د. إبراهيم العدوي: «الأساطيل العربية» ص٣٩ وما بعدها، د. حسين مؤنس: «تاريخ المسلمين في البحر المتوسط»: ص٦٠ وما بعدها.

استرداد مصر والشام، والتسليم بالأمر الواقع؛ ولذلك عاد من الهزيمة لا ليستقر في عاصمته العتيدة القسطنطينية، بل ذهب إلى جزيرة صقلية المواجهة لإفريقية –تونس– علَّه ينجح في حماية شمال إفريقيا، بعد أن فقد الأمل في العودة إلى مصر والشام، ولكن حتى هذا الأمل ضاع من الإمبراطور التعس الذي لقى مصرعه في تلك الجزيرة اغتيالًا، ثم تابع المسلمون فتح الشمال الإفريقي كله، وأخرجوا الروم منه أذلاء، كما أخرجوهم من الشام ومصر.

وانطلقت الأساطيل الإسلامية تمخر عباب البحر الأبيض المتوسط، وتفتح جزره في الشرق والجنوب والغرب محققة السيادة الإسلامية على ذلك البحر.

ولا نبالغ إذا قلنا إن كل ذلك لم يكن ممكنًا بدون فتح مصر، وتعاون أهلها مع الفاتحين المسلمين، وتقديم خبرتهم في بناء الأساطيل الإسلامية.

الملاحق [1]



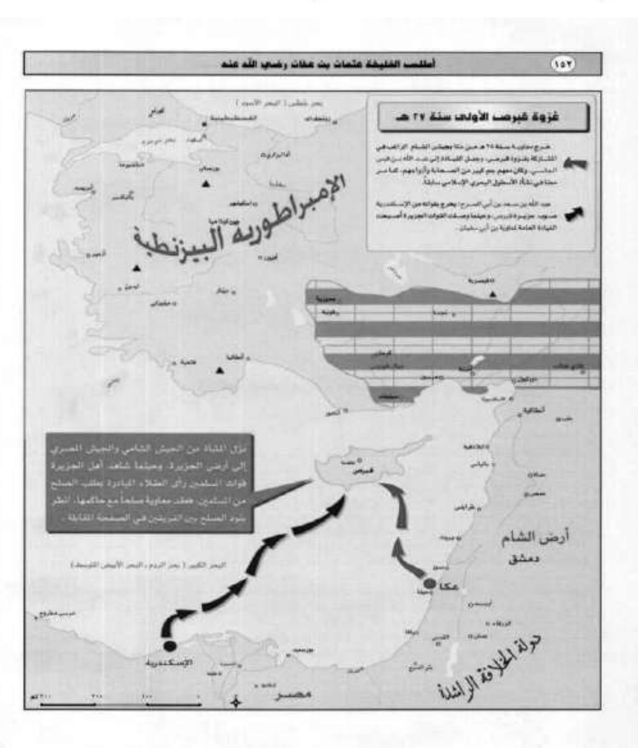
ملحق (١)

كتاب الرسول إلى المقوقس، نقلاً عن محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص **١٣٧**.

---

(١) المراجع.

ونص الوثيقة: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط [أي أهل مصر] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]



ملحق (٢)

خريطة توضح فتح الأسطول الإسلامي لجزيرة قبرص عام ٢٧هـ. نقلًا عن سامي عبد الله المغلوث: أطلس الخليفة عثمان بن عفان، مكتبة العبيكان، ص ١٥٢.

قائمة المصادر والمراجع[1]

المصادر:

١- **ابن الأثير** "أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م"

- **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٢- **البخاري** "محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦هـ/٨٧٠م" الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= **صحيح البخاري**. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

---

(١) تم ترتيب هذه القائمة هجائيًّا بعد استبعاد (ابن، أبو، أل) من أسماء المؤلفين.

٣- **البلاذري** "أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م"

- **فتوح البلدان**. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

٤- الجوهري "أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م"

- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥- **الحموي** "شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م" معجم البلدان. دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٦- **ابن خلدون** "عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م"مقدمة ابن خلدون. تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر.

٧- **الذهبي** "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م" تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير

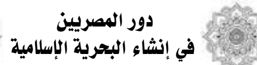
والأعلام. تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

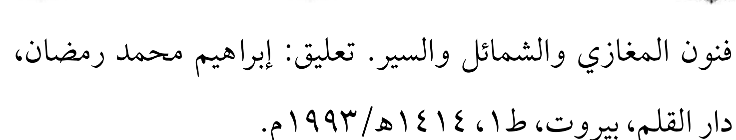
٨- **الرازي** "زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، ت: ٦٦٦هـ/١٣٦٧م" مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٩- **ابن سعد** "أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البغدادي، ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م" الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٠- **السمعاني** "عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م"الأنساب. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

١١- **ابن سيد الناس** "محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، ت: ٧٣٤هـ/١٣٣٣م"عيون الأثر في





فنون المغازي والشمائل والسير. تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٢- **ابن سيده** "أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م" المخصص. تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٣- **السيوطي** "عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م" تاريخ الخلفاء. تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

١٤- **الطبراني** "سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، ت: ٣٦٠هـ/٩٧٠م "

- **المعجم الكبير**. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.

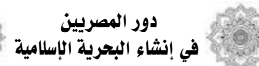
١٥- **الطبري** "محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م" تاريخ الرسل والملوك. دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

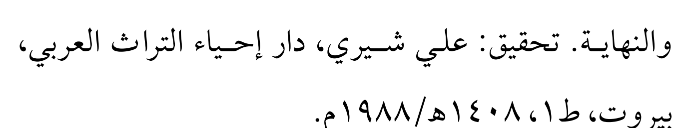
١٦- ابن عبد البر "أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت: ٤٦٣هـ/١٠٧٠م" الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٧- **ابن عبد الحكم** "أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشي المصري، ت: ٢٧٥هـ/٨٧١م" فتوح مصر وأخبارها. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٨- ابن عساكر "أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر، ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٦م" تاريخ دمشق. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١٩- **ابن كثير** "أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م" البداية





والنهايـة. تحقيق: علي شـيري، دار إحـياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٠- **المقريزي** "تقي الدين أحمدبن علي، ت:٨٤٥هـ/١٤٤٢م "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية. تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢١- **ابن مماتي** "أبو المكارم الأسعد بن المهذب بن مينا بن زكريا، ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م" كتاب قوانين الدواوين. تحقيق: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٢- **أبو نعيم** "أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ت: ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م" معرفة الصحابة، دار الوطن للنشر، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٢٣-**الهمذاني** "رشيد الدين بن فضل الدين الهمذاني، ت: ٧١٨هـ/ ١٣١٨م"جامع التواريخ. نقله للعربية: محمد صادق نشأت

وآخران، مراجعة: يحيي الخشاب، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط١، د.ت.

٢٤-**الهيثمي** "أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت: ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

المراجع العربية والمعربة:

٢٥-**إبراهيم أحمد العدوي** (دكتور) الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط. مكتبة نهضة مصر.

٢٦-**أحمد شلبي** (دكتور) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. مكتبة النهضة المصرية، ط١٢، ١٩٧٨م.

٢٧-**أحمد عبد العال** (دكتور) الدليل العصري للمكان المصري. مكتبة جزيرة الورد، القاهرة.

٢٨-**برناردين كلتي** فتح القسطنطينية. ترجمة: شكري محمود نديم، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٢م.

٢٩-**توماس آرنولد** الدعوة إلى الإسلام. ترجمة: د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١م.

٣٠-**جيمس هنري** برستد تاريخ مصر من أقدم العصور إلى العصر الفارسي. ترجمة: حسن كمال، سلسلة الألف كتاب الثاني (٢٦٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.

٣١-**حسين مؤنس** (دكتور) تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط. الدار المصرية اللبنانية.

٣٢-**سعاد ماهر** (دكتور) البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، دار الكتاب العربي.

٣٣-**سعيد عبد الفتاح عاشور** (دكتور) الحروب الصليبية. الأنجلو المصرية، ٢٠١٠م.

٣٤-**شكري فيصل** (دكتور) حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول. مكتبة الخانجي، ط١، د.ت.

٣٥-**عاصم محمد رزق عبد الرحمن** (دكتور) مراكز الصناعة في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية.

سلسلة الألف كتاب الثاني (٦٨)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.

٣٦-**عبد الحميد عبد الجليل شلبي** (دكتور) موقف إسرائيل من قيام الجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٨م. مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، أكتوبر ١٩٩٧م.

٣٧-**عبد الشافي محمد عبد اللطيف** (دكتور) العالم الإسلامي في العصر الأموي. دار السلام، القاهرة.

٣٨-**عفاف سيد صبرة** (دكتور) تاريخ الدولة البيزنطية. دار المسرة، عمان، ط١، ٢٠١٢م.

٣٩-**محمد حميد الله** مجموعة الوثائق السياسية للعصر النبوي والخلافة الراشدة. دار النفائس، ط٥، ١٩٨٥م.

٤٠-**نورمان بينز** الإمبراطورية البيزنطية. تعريب: حسين مؤنس ومحمود يوسف زيدان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٥٠م.

٤١-**يحيى شامي**(دكتور) موسوعة المدن العربية والإسلامية، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

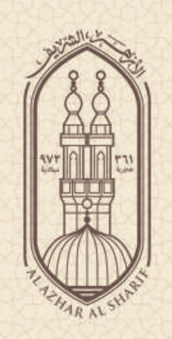
المراجع الأجنبية:

-**Bell، H. I** (ed): Greek papyri in the British Museum "catalogue، with texts cisalpino-Goliardica، Milano, 1910"

-**Harris، Janathan**: The lost world of Byzantium (U. S. A، yale un. Press, 2015)

الفهرس

تأليف: أ.د/ عبد الباقي محمد عبد اللطيف





هيئة كبار العلماء

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م